العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس

الكاتب : صموئيل بندكت ..... ترجمة القس يعقوب قاقيش

هذا الكتاب يكشف التعاليم الغير صحيحة في عقائد الكنيسة الكاثوليكية من وجهة نظر بروتستانتية.

المحتويات :

الكنيسة والقديس بطرس

تقول كنيسة روما الكاثوليكية أن القديس بطرس هو أول رئيس روحي وأول بابا لروما، وأن باقي الباباوات الذين أتوا بعده كانوا برتبته وأنهم توارثوا سلطته. وتقول أيضاً أن القديس بطرس كان رأس كل الرسل والقديسين وأن الرب يسوع المسيح أسس الكنيسة عليه، وأعطاه وباقي الذين خلفوه، أن يكونوا رؤساء روحيين لروما، ولهم القدرة في السيطرة على حكم الكنيسة إلى الأبد.

وهم يؤسسون هذا الاعتقاد على ما جاء في إنجيل متى 16: 18 وتقرأ هذه الآية نقلاً عن اللغة اليونانية، لغة الإنجيل الأصلية، هكذا: "أنت بطرس (حجر صغير) وعلى هذه البترا (حجر كبير) أبني كنيستي". لقد استعمل الرب كلمتين مختلفتين للدلالة على معنيين مختلفين. فقد دعا تلميذه باسم "بطرس"، أي حجر صغير. ولكنه عندما ذكر الشيء الذي يجب أن تبني عليه الكنيسة، قال "تبرا" أي صخرة كبيرة. كان بطرس حجراً صغيراً، ولكن الكنيسة مبنية على صخرة كبيرة. لقد ميز الرب بين "بطرس" و "بترا". والاختلاف بين المعنيين واضح كنور الشمس. لاحظ أن المسيح لم يقل "أنت بطرس وعليك سأبني كنيستي" ولو أنه كان يعني ذلك لقالها بصراحة.

إذاً ماذا كانت الصخرة التي يجب أن تبنى عليها الكنيسة؟ كان بطرس قد قال للمسيح: "أنت المسيح ابن الله الحي". فصخرة الكنيسة إذاً هي لا هوت المسيح كما تعلنه هذه الكلمات. وعندما أعلن القديس بطرس عن الرب يسوع هذه الحقيقة، كان جواب الرب له: "أنت بطرس (حجر صغير) وعلى هذه الصخرة (أنا) أبني كنيستي".

عرف القديس بطرس أن المسيح كان الصخرة عندما قال في رسالته الأولى 2: 8 أن المسيح هو صخرة الكنيسة. وفي العدد 7 يشير إلى المسيح كرأس الزاوية.

كذلك يقول القديس بولس الأمر بوضوح بقوله: "والصخرة كانت المسيح" (1 كورنثوس 10: 4). وأيضاً في 1 كورنثوس 3: 11 "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع، الذي هو المسيح".

عندما نقرأ نفس الإصحاح باقي الأعداد، نستطيع أن ندرك خطأ تفسير الكنيسة الكاثوليكية لما جاء في متى 16: 18. ففي نفس الإصحاح جواب الرب لبطرس عندما جرب أن يبعده عن طريق الصلب – "اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس" (متى 16: 23). يا له من توبيخ قاس!! فمن المستحيل أن يقول الرب يسوع لبطرس: "أنت الصخرة التي أبني عليها كنيستي" وفي نفس الإصحاح واللحظة نرى كلمة التوبيخ المخيفة، كلمة "شيطان". إن الفكرة القائلة أن بطرس هو صخرة الكنيسة تجديف على الرب، فحاشا أن يكون بطرس هو أساس الكنيسة! وقد وبخه الرب بطريقة قاسية لم يوبخ بها تلميذاً آخر.

من أصعب المواقف التي واجهها الرب يسوع موقف محاكمته أمام رئيس الكهنة قبل محاكمته أمام بيلاطس. وفي تلك الساعة كان الرب بحاجة للتلاميذ ليكونوا معه، ولكننا نقرأ في متى 26 أن بطرس أنكر يسوع ثلاث مرات وحلف بأنه لا يعرفه قط. وهذا عمل لم يعمله تلميذ آخر سوى بطرس.

وتقول الكنيسة الكاثوليكية أيضاً إن بطرس كان رأس كل الرسل والتلاميذ. ولو كان هذا الاعتقاد صحيحاً لذكره القديس بولس أو أحد كتّاب العهد الجديد، إذ أن في الأمر أهمية كنائسية. ولكن الأمر غير مذكور. وهذا الصمت ظاهر، وهو برهان ساطع على أن بطرس لم يكن في أي وقت من الأوقات رأساً للكنيسة.

نذكر توبيخ الرب يسوع لبطرس في متى 16: 23، وتجديف بطرس وإنكاره للرب يسوع في متى 26: 74. وكتابة القديس بولس في مسألة مهمة في غلاطية 2: 11، قال "ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً".

ولو كان حقيقة أن بطرس هو رأس الكنيسة لما استطاع القديس بولس أن يذكر ذلك.

أن الحقيقة التي كان بطرس ملوماً فيها، ومقاومة بولس له مواجهة، ترينا بوضوح أن بطرس لم يكن رأس الكنيسة. كان بطرس هو الرسول الوحيد الملام بين كل الرسل.

ذكر القديس بولس أنه مساوٍ لباقي الرسل، ولو كان بطرس هو رأس الكنيسة لما استطاع بولس أن يذكر ذلك. قال في 2 كورنثوس 11: 5 "لأنني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل" وكذلك في 2 كورنثوس 11: 5 "لأنني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل وإن كنت لست شيئاً" فإن كان بطرس بالحق هو رأس الكنيسة فكيف استطاع القديس بولس أن يقول أنه مساوٍ "لفائقي الرسل؟" لو كان بطرس هو رأس الكنيسة لما تجرأ بولس أن يقول ذلك، ولما كان التالي مساوياً له. هنا في 2 كورنثوس 11: 28 يعلن لنا القديس بولس بوضوح أن بطرس لم يكن رأس الكنيسة. قال "عدا ما هو دون ذلك. التراكم عليّ كل يوم. الاهتمام بجميع الكنائس". ومن هنا نرى أن بولس هو الذي كان مهتماً بالكنائس وليس بطرس، كما أن بطرس نفسه لم يقل ذلك.

هل أعطى المسيح سلطة لبطرس أكثر من باقي الرسل؟ كلا بل على العكس. فعندما تشاجر الرسل بين أنفسهم عمن هو الأعظم، وبخهم الرب في (لوقا 22: 24) "وكانت بينهم أيضاً مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر" وفي (متى 20: 25 – 27):

"فدعاهم يسوع وقال: أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكن هكذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً". هل كان بطرس رأس أو سيد الكنيسة؟ كلا! قال يسوع في (متى 23: 8) – "لأن معلمكم واحد: المسيح، وأنتم جميعاً أخوة". لم يكن بطرس أعلى من باقي الرسل. وقد قال الرب أنه هو نفسه الذي كان سيد الجميع وليس أحد غيره، لأن جميع الرسل كانوا أخوة. ومعنى هذا أنهم جميعاً كانوا متساوين وليس لأحد منهم سلطة أعلى من الآخر.

يقول القديس بولس في رسالة أفسس 5: 23 "أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة". وكذلك في كولوسي 1: 18 "المسيح هو رأس الجسد أي الكنيسة". كان القديس بولس يذكر في كتاباته أن المسيح رأس الكنيسة، لكنه لم يذكر ولا مرة واحدة ذلك عن بطرس. كان يجب أن يقول القديس بطرس عن نفسه أنه رأس الكنيسة لو كان الأمر حقيقة، لأنه بهذا ينال شرفاً واحتراماً أعظم من باقي الرسل، ولكنه ذكر عن نفسه أنه شيخ، إذ يقول في رسالته الأولى 5: 1 "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا الشيخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يعلن". فلو كان بطرس رئيساً لأعلن عن نفسه وعن سلطته، ولأمر والرسل بالذهاب إلى أماكن مختلفة، ولكن على العكس فإننا نرى أنه قبل أوامرهم وأنهم أرسلوه، فنقرأ في أعمال الرسل 8: 14 "ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا".

وعندما اجتمع الرسل والإخوة في أورشليم (أعمال 15) كان بطرس بينهم، ولكنه لم يترأس الاجتماع. ولو كان هو الرئيس لأعلن الأمر في ذلك الاجتماع، وأخذ بإصدار أوامره. لقد ترأس الاجتماع القديس يعقوب، وقرر الأشياء المطلوبة. نقرأ في أعمال 15: 13، 14 "وبعدما سكتا أجاب يعقوب: أيها الرجال الأخوة اسمعوني: سمعان قد أخبر كيف افتقد الله الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه". وعدد 19 أيضاً "لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم".

أين هو البرهان على الاعتقاد برئاسة بطرس؟ ففي الكتاب المقدس "العهد الجديد" الذي يحتوي على سبعة وعشرين سفراً موحى بها من الله، لا يوجد ذكر يؤيده. إن هذا الصمت يوضح أن بطرس لم يكن في وقت ما في روما، لأنه لو وجد هناك فلابد من ذكر الأمر في أحد كتب العهد الجديد. فالقديس بولس كتب رسالة مطولة إلى أهل روما، ولكنه لم يذكر

شيئاً عن وجود بطرس فيها. وبولس نفسه عاش في روما سنتين، وأثناء إقامته فيها كتب عدة رسائل، لكنه لم يأت على أي ذكر لوجود بطرس في المدينة، الأمر الذي كان يجب عليه ذكره لو أن بطرس كان حقاً في روما. إن العهد الجديد يذكر أن بطرس سافر إلى إنطاكية والسامرة وقيصرية وإلى بعض الأماكن الأخرى، ولكنه لا يذكر أنه سافر إلى روما. لماذا حذف ذكر هذه الحادثة من الكتاب؟ أليس لأنها لم تحدث؟

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يوجد خارج الكتاب المقدس دلائل تثبت صدق أن بطرس كان في روما، أو أنه كان مطراناً عليها. فالمخطوطات والكتب التي بين أيدينا، والتي كتبت في المئة والخمسين سنة الأولى لصعود المسيح إلى السماء، خالية من أي ذكر للموضوع. وتظهر الحقيقة التي لا مجال للشك فيها أنه لا في كتب العهد الجديد، ولا خارج هذه الكتب يوجد أي برهان على كون بطرس مطراناً لروما أو حتى وجوده فيها!

ولو كان بطرس مطراناً لروما، فأين هي الوثائق التي بموجبها سلم بطرس سلطته لمن خلفه؟

لم تكن كنيسة روما أول كنيسة مسيحية. فقد بشر الرب يسوع والتلاميذ أولاً في أورشليم، وهناك تأسست أول كنيسة مسيحية – "كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم" (لوقا 24: 46، 47) كانت كنيسة أورشليم أم الكنائس، لأنها أول كنيسة. لقد تأسست كنائس أخرى في إنطاكية وكورنثوس وغلاطية وفيلبي وتسالونيكي قبل تأسيس كنيسة روما. يقول الكتاب المقدس في أعمال الرسل 11: 26 "ودعي التلاميذ مسيحيين في إنطاكية أولاً". هذا برهان على أسبقية تأسيس كنيسة إنطاكية عن كنيسة روما، وهكذا فإن أول كنيسة كانت في أورشليم وليس في روما.

إن الكتاب المقدس لم يذكر كلمة بابا أبداً، ولا يذكر رتبة أو مركزاً آخر كمركز البابا. والمسيح لم يعلن عن بطرس أنه "البابا"، ولا التلاميذ ولا بطرس نفسه أعلن أنه البابا. لذلك فلا سلطة للباباوات ولا هم أولياء عهد، لأن بطرس لم يكن له أتباع أبداً. كان بطرس متزوجاً كما يظهر من متى 8: 14. وقال القديس بولس "فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة... " (1 تي 3: 2).

عصمة البابا المنزه عن الخطأ

الكائن الوحيد المنزه والمعصوم عن الخطأ هو الله. ولكن الكنيسة الكاثوليكية تقول أن البابا عندما يتكلم وهو جالس على عرشه عن أمور الإيمان والأخلاق يكون معصوماً من الخطأ.

إن مفهوم هذه العقيدة هو أن البابا لا يخطئ في أي كلمة يقولها في الإصدارات الرسمية المختصة بعقائد الكنيسة وبالأمور الأخلاقية، وكلامه حق، ولا يحتوي سوى الحق لأنه لا يستطيع أن يخطئ، ومن ثم فهو معصوم ومنزه عن الخطأ. والواقع أن كل نشاطات الكنيسة الكاثوليكية هي باسم الإيمان والعقائد والأخلاق، بغية تغطية أخطائها تحت ستر عصمة البابا في هذه الأمور الثلاثة.

يحاول المناصرون والمدافعون عن فكرة عصمة البابا بتعليل الاختلافات بين آراء بعض الباباوات في الأمور العقائدية، وذلك بالاستناد إلى أن لكل بابا وجهات نظره الخاصة به، آملين بتعليلهم هذا أن يغطوا الصعوبات الناتجة عن هذه الاختلافات. لكن يا له من تعليل سطحي! كيف أن شخصاً يشغل مركز البابا ويتكلم باعتباره معصوماً من الخطأ بأمور عقائدية، يأتي وقت يقال فيه إن أقواله لم تكن رسمية؟

إن الباباوات أنفسهم لم يعرفوا بأمر عصمتهم إلا بعد 1800عام، أي حين أعلن الأمر كقانون للإيمان في مؤتمر الفاتيكان المنعقد في روما عام 1870. وقد حدث في هذا المؤتمر نزاع وجدال طويل حول العقيدة التي نحن بصددها. وكان المطران ستروسماير **Strossmeyer** والمطران كندريك **Kendrick** والدكتور دولانكير **Dollinger** من بين الذين عارضوا قبول عقيدة عصمة البابا، وفي ختام المؤتمر عندما أعلن الأمر كقانون للإيمان، انسحب الأعضاء المذكورون ورئيس أساقفة أوترينت في هولندا، مع عدد غفير من الرهبان وأبناء الشعب، وكونوا لأنفسهم كنيسة كاثوليكية على النموذج القديم. وقد انتشرت هذه الكنيسة في معظم بقاع أوربا، ووصلت إلى أمريكا حيث تعرف الآن باسم الكنيسة الكاثوليكية الإنجيلية.

لسنا بحاجة إلا إلى قليل من التفكير المنطقي السليم لنعرف أنه لو كان واحد من الباباوات معصوماً، فهذا يعني أن جميع الباباوات معصومون أيضاً. ولو أنه ليس كل الباباوات معصومين فهذا يعني أنه لم يكن أي من الباباوات معصوماً. فبما أن عصمة واحد من الباباوات كاف للدلالة على أن كل الباباوات معصومون، وجب أن يتفقوا في الأمور الجوهرية. لأنهم لا يخطئون ولا يستطيعون أن يخطئوا. وعلى هذا الأمر ترتكز عقيدة عصمة البابا. ولكن التاريخ يرينا أن الباباوات اختلفوا في التعليم، وهذا يعني أن واحداً يكون معصوماً، والآخر غير معصوم، وإذا وجد واحد غير معصوم فهذا يعني أن كل الباباوات غير معصومين، إذ أنه لا يمكن أن يكون بعض الباباوات معصومين وبعضهم غير معصوم.

ونقدم أمثلة:

1. **Liberius**وافق البابا ليبريوس على إدانة أثناسيوس، ولكنه وقع أخيراً في البدعة الأريوسية التي تنكر لاهوت المسيح.

2. **Honorius** أدان المؤتمر السادس عام 680 البابا هونوريوس الأول واتهمه بأنه هرطوقي. وقد أيد الإدانة البابا ليو الثاني **Leo II**، والمؤتمرات التي تبعت.

3. **Vigilius**أدان البابا فيكيليوس عدة كتب ووضعها على اللائحة السوداء. ولكن فترة من الوقت سحب إدانته، وبعد فترة أخرى عاد فأدانها مرة ثانية.

4. **Gregory**كان البابا غريغوري الأول يعتبر كل شخص يسمي نفسه "أسقفاً للعالم" أنه ضد المسيح. ولكن كل

الباباوات في هذا العصر يحملون هذا اللقب!

5. Paschal تجادل البابا باشال الثاني والبابا يوجينوس الثالث **Eugenius** ولم يتفقا، ولكن البابا يوليوس الثاني **Julius II** والبابا بيوس الرابع **Pius IV** منعاً هذه المجادلة ووبخاها.

6. Bastle طلب مؤتمر باسل من البابا يوجينياس الرابع إبقاء الكأس المقدس للكنيسة البوهيمية، لكن البابا بيوس الثاني ألغى هذا القرار.

7. Hadrian أباح البابا هدريان الثاني الزواج المدني واعتبره شرعياً، ولكن البابا بيوس الرابع أدانه.

8. Sixtus V نشر البابا سكستوس الخامس إحدى طبعات الكتاب المقدس وأقرها لأن تقرأ في الكنائس، ولكن البابا بيوس السابع أدان هذه الطبعة.

9. Clement XIV أبطل البابا كليمنت الرابع عشر قانون اليسوعيين الذي سمح به البابا بولس الثالث **Paul**، ولكن البابا بيوس السابع **Pius** أعاده.

لو أن الباباوات معصومون من الخطأ، فإنهم يتفقون بالتأكيد في تعاليمهم، ولكن التاريخ يظهر أنهم حالفوا وناقضوا بعضهم البعض.

هناك عامل آخر يثير السؤال حول عصمة البابا. فالتاريخ يظهر أنه ظهر في بعض حقبات الزمن أكثر من بابا واحد، وكلٌّ يرفض الآخر ويدّعي بأنه هو البابا الصحيح. فعلى سبيل المثال قاوم البابا فكتور الثالث **Victor** والبابا أوربان الثاني **Urban II** البابا كليمنت الثالث. فأيهم كان البابا الصحيح؟ مثل آخر: عندما كان البابا اسكندر الثالث على كرسي روما، كان في ذلك الوقت بابا آخر ملقب بالبابا كليمنت الخامس. رجلين في وقت واحد وكل يدعي أنه البابا. من كان البابا الحقيقي؟ ثم ماذا حدث لعصمة البابا عام **1378** عندما حدث الانقسام العظيم الذي استمر خمسون عاماً. فقد انتخب الإيطاليون البابا أربان السادس، بينما اختار الكرادلة الفرنسيون البابا كليمنت السابع.

وهذان الاثنان شتما بعضهما بعضاً سنة بعد الأخرى إلى أن عقد مؤتمر تم فيه عزلهما معاً واختير بابا جديد. من كان البابا الحقيقي خلال الخمسين عاماً؟ أين كانت عصمة البابا خلال ذلك التاريخ؟

إن الاختلافات والتناقضات التي يظهرها التاريخ بين الباباوات، تكاد لا تعد ولا تحصى من كثرتها. ولعل هذا يرينا أنه إذا تناقض اثنان من الباباوات، أفلا يكون أحدهما غير معصوم؟

يحتاج الإنسان إلى مرشد معصوم في هذه الحياة ليهديه إلى الحياة الآخرة. وهذا المرشد موجود في الكتاب المقدس، الذي هو كلمة الله المكتوبة لنا بواسطة رجال قديسين في العصر القديم، وهم منقادون بالروح القدس. وقد وجد الملايين من الناس طهارة الحياة، وسلام الضمير، وخلاص النفس بقراءة الكتاب المقدس. وإن أردنا معرفة حقيقة الله والرب يسوع المسيح، ومعرفة الأمور التي يجب أن يعملها الإنسان ليحيا حياة مسيحية، علينا قراءة كلمة الله المقدسة التي تقدم السلام والراحة والقوة للنفس والجسد معاً، وتشق طريقاً إلى الحياة الأبدية. لذا فعلى كل شخص أن يقرأ الكتاب المقدس يومياً، لأنه الدليل الوحيد إلى حياة أفضل.

الاستحالة

"وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل الكثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26: 26 – 28).

تعلم الكنيسة الكاثوليكية عقيدة الاستحالة، التي تقول أنه عندما ينطق الكاهن بكلمات التكريس فوق الخبز والخمر في القداس، تتحول هذه إلى جسد ودم الرب الحقيقي، نفس ولاهوت الرب يسوع المسيح.

وتشكل الاستحالة أساس عبادة هذه الكنيسة، التي تعلم أنه بعد تكريس الخبز والخمر تتحول هذه إلى ذات الرب يسوع ابن الله، لذلك يصلي الشعب إليه ويعبده.

تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أيضاً أن للكاهن القوة المطلقة لتحويل الخبز والخمر إلى الله، لأنه بحسب تعليم الكنيسة المذكورة يطيع المسيح الكاهن ويدخل في الخبز والخمر. لذلك بعد تكريسه يتحول إلى نفس المسيح. إذا كانت هذه العقيدة صادقة فيجب على كل شخص أن يقبلها. ولكن إذا كانت مناقضة لتعاليم الكتاب المقدس، فإن الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها يصبحان أبعد ما يكون عن الحق وليسا بحسب الكتاب المقدس.

عندما أعطى الرب يسوع الخبز لتلاميذه، قال "خذوا كلوا، هذا هو جسدي". وأعطاهم الكأس وقال: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد". تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن يسوع قصد ما قال حرفياً، وهكذا يتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم الرب الحقيقي. ولكن الحقيقة هي أن المسيح لم يقصد ذلك.

عندما تناول المسيح العشاء الرباني مع تلاميذه كان هو موجوداً هناك بنفسه يتكلم شخصياً إليهم، ومن ذلك نستنتج أن الخبز لا يمكن أن يكون جسده بينما كان في يده. وكذلك الخمر لا يمكن أن يكون دمه، لأنه لم يكن قد تألم وجرح. بالعكس، لقد كان الدم ما زال يجري في عروقه، وهكذا فإن الخمر يمثل دمه فقط.

قد يتساءل البعض: لماذا استعمل الرب يسوع هذا التعبير المجازي؟ ولماذا لم يقل: "هذا الخبز يمثل جسدي، وهذا الخمر يمثل دمي"؟

إن الجواب على هذا السؤال واضح وبسيط. فإن كل دارس للعهد الجديد يعرف أن عشاء الرب قد تطور من عيد الفصح اليهودي. ولقد استعمل الرب لغة عيد الفصح، لأن التلاميذ كانوا معتادين عليها، وكان من السهل عليهم أن يفهموا قصد الرب يسوع.

يجب أن نتذكر أن عشاء الرب قد انتهى بنفس الليلة، وبنفس الوقت والطريقة التي انتهى بها عيد الفصح. وقد استعمل الرب يسوع وتلاميذه في تلك الليلة نفس الخبز والخمر.

توجد صور كثيرة في العهدين الجديد والقديم، أشكال ورموز تمثل الرب يسوع وتشير إليه. من تلك الصور أو الرموز التي ظهرت في كلا العهدين صورة حمل الفصح الذي كان دائماً يمثل الرب يسوع المذبوح من أجل الجميع.

"وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا 1: 29).

"فنظر إلى يسوع ماشياً فقال: هوذا حمل الله" (يوحنا 1: 36).

"... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (1 بط 1: 19).

"... وفي وسط الشيوخ حمل قائم كأنه مذبوح..." (رؤيا 5: 6).

"... للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين" (رؤيا 5: 13).

إن الحمل يمثل ويشير ويرمز إلى الرب يسوع إلى أكل في الفصح. حمل الله الذي ذبح على الصليب من أجلنا. وإن الحمل الذي أكله يسوع مع تلاميذه في ليلة العشاء الرباني كان ذكرى فصح يهوه في مصر، عندما عبر ملاك الموت عن الإسرائيليين، وقتل البكر من كل عائلات المصريين. لذلك ففي ليلة الفصح الرباني، الذي هو إعادة لفصح يهوه، عندما قال يسوع: "هذا هو جسدي" أعاد ما قاله موسى في ليلة فصح يهوه: "هذا فصح للرب" (خروج 12: 11).

هل كان ذلك الفصح الحقيقي؟ لا. فالفصح الحقيقي كان عندما عبر ملاك الموت من أمام بيوت شعب الله وقتل أبكار المصريين. هل كان الحمل المذبوح هو الفصح؛ لا فالخروف المذبوح كان رمزاً للعشاء الرباني، فقد كان الشعب يأكل الحمل المذبوح ليتذكر ما عمله يهوه ليخلصهم من يد المصريين عندما التجأوا في بيوتهم تحت دم الحمل المرشوش على الأبواب، بينما عبر ملاك الموت عن الشعب وقتل المصريين. لذلك نرى هنا أن يسوع استعار هذه من موسى، ومن عيد الفصح الذي فيه ذكرى للرب نفسه "عشاء الرب" لذلك كانت كلماته طبيعية وبسيطة ومناسبة.

لذلك عندما قال يسوع: "هذا جسدي" كان قوله هذا بنفس صيغة المجاز التي استعملها موسى حين قال عن الحمل: "هو فصح للرب".

لقد كان عيد الفصح ذكرى خلاص الشعب، عندما عبر ملاك الموت وقتل المصريين. وعندما ذكر موسى عيد الفصح قال: "ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية" (خروج 12: 14) "ويكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك، لكي تكون شريعة الرب في فمك. لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر. فتحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة إلى سنة" (خروج 13: 9، 10).

وكما أن عيد الفصح كان ذكرى خلاص الشعب وخروجه من مصر، كذلك عشاء الرب الآن هو الذكرى عند المسيحيين، وذكرى الشركة مع الرب وموته من أجل كل الشعب. كانت مناسبة العشاء الأخير أثناء وجود الرب يسوع على الأرض قبل الصليب بليلة واحدة. ولا تزال هذه الذكرى تقدم كذكرى موت الرب يسوع من أجلنا. قال يسوع: "اصنعوا هذا لذكري" (لو 22: 19) وأيضاً في 1 كورنثوس 11: 24 "اصنعوا هذا لذكري". وفي الأعداد التي تلي ذلك يقول: "اصنعوا كلما شربتم لذكري" إذاً فالقصد الوحيد من ممارسة عشاء الرب، كما يذكر لنا الكتاب المقدس، هو لذكرى الرب يسوع وموته. لقد كانت ذكرى محبة مقدسة. ذكرى محبته وموته من أجلنا.

عندما كان يسوع يكلم تلاميذه كان يكلمهم بأمثال، وهذه العادة شائعة ومعروفة عند كل كتّاب العهد الجديد. ونحن في هذه الأيام كثيراً ما نستعمل اللغة الرمزية والأمثال. قال يسوع: "أنا هو الباب" – "أنا هو الطريق والحق والحياة" – "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" – "أنا هو نور العالم" – "أنا هو الخبز الذي نزل من السماء". هل كان فعلاً يقصد أنه باب أو كرمة؟ طبعاً لا! كل هذه كانت لغة مجازية. يمثل لنا يسوع في سفر الرؤيا "السبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائس، والمناير السبع رأيتها هي السبع الكنائس" (رؤيا 1: 20). وما هذه إلا مجرد رموز يسهل فهمها.

قال القديس بولس عن سير الشعب في البرية 1 كو 10: 4 "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح". فقد يقول شخص: لكن هذه الصخرة التي أخذ منها الشعب وشرب لا تزال صخرة في البرية! أليس كذلك؟ بالطبع نعم. هل استحالت إلى المسيح الحقيقي؟ بالتأكيد لم تتغير. بنفس الطريقة عندما أعطى يسوع الخبز وقال: "هذا هو جسدي" فإنه يعني خبزاً، وكذلك الخمر يعني خمراً، لأن الرب كان يرمز ويشير إلى جسده ودمه. قال يسوع: "اصنعوا هذا لذكري". فإن ذلك خدمة محبة وموت الرب من أجلنا.

تؤمن الكنيسة الكاثوليكية أن المسيح طلب منهم أن يأكلوا لحمه ويشربوا دمه، وقد عمل عشاء الرب مخصوصاً ليتحول فيها جسداً ودماً ومن أجل ممارستها. ولإثبات تلك الفكرة تتمسك الكنيسة البابوية بما ورد في يوحنا 6: 53 –

55 "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق".

ماذا كان الرب يقصد بهذه الكلمات؟ إنها لا تشير إلى العشاء السري أو الشركة المقدسة. ونستطيع أن نتأكد من ذلك عندما نعلم أن عشاء الرب لم يكن قد أعد، وأن الكلمات التي نطق بها عن لحمه ودمه كانت قبل العشاء بسنة كاملة.

لذلك فإن كلمات الرب في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عن جسده ودمه لا تشير إلى العشاء الرباني.

ماذا كانت كلمات الرب في يوحنا 6، وماذا كان تأثيرها على سامعيه في تلك الساعة؟ هل فهموا أن كلامه يعني تحويل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه؟ لم يكن لدى الشعب أي فكرة من هذا النوع! هل اعتقدوا أن يسوع كان يعني الشرطة المقدسة؟ لا، أبداً، لأنه لم يكن عشاء للرب في ذلك الوقت، ولم يهيأ إلا بعد سنة. أما أكل وشرب جسد الرب ودمه فقد كان أمراً سريعاً فورياً واجباً عليهم أن يفعلوه حالاً بدون تأخير لتكون لهم حياة أبدية. لم يقل الرب: "إن لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي (بعد سنة) فليس لكم حياة فيكم" لكن قال: "إن لم تفعلوا ذلك (الآن) فليس لكم حياة فيكم (الآن)". لم يشر الرب ولا علم التلاميذ ولا المستمعين عن العشاء الرباني بل عن قبوله والإيمان به. فواضح جداً أن كلمات الرب لم يكن بها أية إشارة أو مرجع أو شاهد لعشاء الرب أو للشركة المقدسة.

طالما أن كلمات الرب في يوحنا 6 لم تشر إلى عشاء الرب. فإلى أي شيء أشارت يا ترى؟

نجد الجواب عندما نقرأ كل الإصحاح السادس مع فقرات أخرى من العهد الجديد. لقد قال الرب هذا بعد اليوم الذي عمل فيه معجزة إطعام الخمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة وسمكتين. وكانت النتيجة أن الشعب تبعه على شاطئ بحر الجليل، وكان توبيخ الرب لهم حين قال: "... أنتم تطلبونني، ليس لأنكم رأيتم آياتي، بل لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم" (يو 6: 26) قال لهم يسوع في يوحنا 6: 27 "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه". كان هذا الطعام شيئاً رمزياً فقط، لأن الطعام المادي لا يمكث إلى الأبد، بل يفسد ويضمحل.

سأل الشعب يسوع: "ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟" (يو 6: 28) فأجابهم يسوع فوراً: "... هذا هو عمل الله: أن تؤمنوا بالذي أرسله" (يوحنا 6: 29). يخبرنا الرب هنا ببساطة أن الشيء المهم والضروري هو أن نؤمن به.

حينئذ سأل الشعب: "... فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المن في البرية. كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا. أجابهم يسوع: أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (يو 6: 30 – 35).

لاحظ هنا أن قدومنا إلى يسوع يعني إيماننا به. وإيماننا به يعني قدومنا إليه. فكل من يؤمن بيسوع أو يقبل إليه، له حياة أبدية. وعندما يقول الرب عن المؤمن "لن يجوع" و "لن يعطش" فهو بالطبع يقصد أن له حياة أبدية.

لقد تذمر اليهود على يسوع لأنه قال: أنا هو الخبز الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. ولكن ما هو سوى الجواب على تذمرهم. والإثبات أن الإيمان به يعطي حياة أبدية، فقال: "الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية" (يو 6: 47). ولأول مرة نراه يذكر جسده حين قال: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم".

هنا نرى أن "الخبز" و "الجسد" لهما نفس المعنى. الخبز الذي تكلم عنه هو جسده، وقال إنه يريد أن يبذل جسده من أجل حياة العالم. وقد عمل ذلك عندما صلب طوعاً على الصليب لرفع القصاص الناتج عن خطية العالم. إن

أكل جسد ابن الإنسان هو كأكل الخبز الحي الذي نزل من السماء، وأكل خبز الحياة الذي أتى من السماء كما قرأنا: هو أن نأتي إلى يسوع ونؤمن به. لا أكثر ولا أقل. الذي يؤمن بيسوع يقتات على الخبز الحي، يأكل جسده ويشرب دمه الرمز للحياة الأبدية.

قال يسوع: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يوحنا 6: 56). ويخبرنا الروح القدس في 1 يوحنا 4: 15 "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله". وهكذا نرى للمرة الثانية أن تناول جسد الرب يسوع ودمه هو الاعتراف به أنه ابن الله أي كالإيمان به.

ولكي يبعد يسوع اليهود عن التفكير المادي قال: "الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا 6: 63). وقال يسوع: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يو 6: 53). وقال أيضاً: "... من يؤمن بي فله حياة أبدية" (يو 6: 47). وهذا واضح جداً أن تناول جسد الرب ودمه يعني الإيمان به. ومهما يكن من أمر، فإن هذه هي الحالة الوحيدة لربح الحياة الأبدية.

وهكذا فإن المرء يستطيع أن يأكل جسد الرب ويشرب دمه، حتى لو لم يشترك ولا مرة في تناول العشاء السري أو الشركة المقدسة. ألم يفعل اللص على الصليب نفس الشيء؟ لقد كانت له حياة أبدية لأنه دخل الفردوس في نفس اليوم الذي صلب فيه يسوع، حسب قول الرب له في لوقا 23: 43. لقد شرب اللص دم الرب وأكل جسده بالرغم من أنه لم يحضر العشاء السري الذي أقامه الرب في الليلة التي سبقت يوم صلبه.

وفي الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا نرى أن تناول جسد الرب ودمه لا يتمان عن طريف الفم بل عن طريق القلب. ولتبقى هذه الحقيقة عالقة بأذهاننا أن ما قاله الرب في يوحنا 6 كان قبل ممارسة العشاء الرباني، دعونا نذكر أن التلاميذ كانوا يحيون في يسوع وهو فيهم. والنفس التي تأتي إلى الرب يسوع معترفة بأنه رب وتتخذه مخلصاً شخصياً، فإن لتلك النفس حياة أبدية الآن. كما يقول يسوع: "الذي يؤمن بي له حياة أبدية".

إن عقيدة الاستحالة (أي تغيير الخبز والخمر إلى ذات المسيح) تناقض حواسنا: الإحساس والنظر والشم واللمس والذوق. فعندما نرى ونلمس الخبز والخمر ونشتمّ رائحتها ونذوقها، نتأكد أنها لا زالت خبزاً وخمراً حتى بعد تكريسها، إذ أن التكريس لا يغير منها شيئاً.

نقلت مجلة تابلت Tablet الكاثوليكية في عددها الصادر يوم 19 شباط (فبراير) 1910 نص العظة التي وعظها الكاهن فاون Vaughen في كاتدرائية وست منستر، فقالت: "إن نفس الجسد الذي وضعته مريم العذراء على يديها في ليلة الميلاد، ونفس الحياة والشخص الذي نفخ وقال لمريم المجدلية، اذهبي بسلام، مغفورة خطاياك، نفس العيون التي نظرت بمحبة إلى الشاب الغني في الإنجيل، ونفس اليدين اللتين باركتا الأطفال وكتبتا على الرمل، والجبين الذي نزف الدم من تحت تاج الأشواك، واليدان والرجلان المثقوبة على الصليب، والجروح والقلب المنكسر من أجل خطايانا، كلها مجتمعة داخل الخبز والخمر في الشركة المقدسة".

إن سؤالاً بديهياً يخطر على بالنا هو: هل تغير هذا الخبز والخمر المكرس إلى ذات الطفل يسوع ابن مريم الحقيقي؟ هل كبر وترعرع ووعظ؟ هل عمل العجائب؟ هل صعد إلى السماء؟ إذا كان الجواب بالنفي، فإن هذا يعني أنه ليس هو المسيح بأي حال من الأحوال.

إن عقيدة الاستحالة عقيدة تناقض التفكير المنطقي السليم. فكنيسة روما تدّعي بأن المسيح حول الخبز والخمر إلى جسده ودمه أثناء ممارسته العشاء السري مع التلاميذ. وبحسب هذه العقيدة نرى أنه قد حول نفسه إلى الخبز والخمر – حول نفسه ثم أكل وشرب نفسه، كذلك التلاميذ أكلوا وشربوه، بالرغم من أنه كان واقفاً أمامهم. يا لها من عقيدة

هدامة! إننا نستنتج من الكتاب المقدس أن المسيح لم يكن داخل الخبز والخمر أبداً. والبراهين الكتابية كافية لكي تدحض وتنقض عقيدة الاستحالة التي لا أساس لها من الصحة.

عندما يقول كهنة الكنيسة إن الخبز والخمر المكرس هو المسيح نفسه ويحملونه على أيديهم، ويضعونه في المكان السري الخاص به في الهيكل وعلى المذبح، نتذكر تحذير الرب يسوع المسيح في متى 24: 23 – 26 "حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا وهناك فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم. فإن قالوا لكم: ها هو في البرية فلا تخرجوا. ها هو في المخادع فلا تصدقوا".

تزعم الكنيسة الكاثوليكية أن الخبز والخمر عندما يكرسان يتحولان إلى يسوع المسيح بالذات، إلى ابن الله وإلى الله نفسه، وبالتالي فعلى الشعب أن يركعوا ويصلوا له ويعبدوه. أي أن الكنيسة تقول بكل وضوح إن للكاهن السلطة لتكريس الخبز والخمر وتحويلهما إلى الله. يقول الكتاب المقدس في أعمال الرسل 19: 16 "... إن التي تصنع بالأيادي ليست آلهة" وكذلك في مزمور 115 عن "صنع أيدي الناس" التي يعبدونها ويقدسونها.

نقرأ في سفر أشعيا 44: 14 – 20 عن رجل يزرع شجرة فتنمو. ثم يقطعها ويستخدم بعض أجزائها ليتدفأ ويطبخ طعامه عليها ويستخدم جزءاً آخر لصنع صنم يسجد أمامه ويعبده ويصلي إليه قائلاً "نجني لأنك أنت إلهي". وهكذا إنسان عصرنا الحاضر. فهو يبذر بذور القمح في الربيع وينتظر حتى تنمو وتنضج. وفي الصيف يحصدها ويأخذها إلى المطحنة حيث تطحن. وبعد أن تطحن يأخذ الكاهن جزءاً من هذا الدقيق ويصنعه خبزاً ويأكل قسماً منه والقسم الآخر يعمله برشاماً ويكرسه. وبعد ذلك يضعه أمام الشعب. والجميع ينحنون ويسجدون له. فما الفرق إذاً بين عبادة إله خشبي وعبادة إله برشامي؟ لا فرق أبداً، هي آلهة معمولة بالأيدي. وهي عبادة أوثان. قرأ في سفر الخروج 32 قصة العجل الذهبي، وقارن بين عبادته وعبادة البرشامة الكاثوليكية. إن كهنة الكنيسة الكاثوليكية يحاولون معذرة أنفسهم بقولهم إن العجل الذهبي هو عبادة أصنام، ولكن البرشامة بعد تكريسها تتحول إلى المسيح، وعبادتها ليست عبادة وثنية. ولكننا رأينا من كلمة الله المقدسة أن البرشامة ليست المسيح وأنها لم تتغير بعد التكريس. وقد التجأ الشعب في القديم إلى نفس العذر عندما قالوا: "هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر". وكأنهم في قلوبهم يقولون: "نحن لا نعبد هذا العجل، لكنه يمثل إلهنا يهوه العظيم الذي أخرجنا من أرض مصر".

يمنعنا الكتاب المقدس من صنع أي صورة تمثل الله: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ... لا تسجد لهن ولا تعبدهن..." (خروج 20: 2 – 5). "... للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (لوقا 4: 1). إن الله يطلب منا عبادة بالروح والحق، وإن السجود للأصنام البكم أو الركوع للبرشام (الخبز) أو أي شيء آخر يعتبر بنظر الله عبادة وثنية.

ثم إن عقيدة الاستحالة تناقض تاريخ الكنيسة. إنها عقيدة باطلة اخترعت بعد صعود المسيح بمئات السنين. إن علماء اللاهوت في القرون الأولى لم يعرفوا شيئاً عن الاستحالة ولم تظهر هذه العقيدة إلا عام 1215 م.

يؤمن المسيحيون الحقيقيون أنه يجب عليهم أن يأكلوا جسد الرب ويشربوا دمه إن هم أرادوا الحصول على حياة أبدية ثابتة فيهم. ونحن كمسيحيين نعلم أن هذا يتم عن طريق الإيمان بيسوع المسيح كابن الله. وعن طريق قراءة وحفظ الكتب المقدسة. وأيضاً عن طريق الإصغاء إلى الوعظ المبني على الإنجيل المقدس. ويتم هذا أيضاً عندما نصلي إلى الآب باسم المسيح، وعندما نشترك في تناول الخبز والخمر في الشركة المقدسة (وهو لا يزال خبزاً وخمراً) طاعة للوصية: "اصنعوا هذا لذكري".

فهل المسيح حقاً موجود في الشركة المقدسة؟ نعم. إن الرب يسوع حاضر وموجود بالإيمان في نفوس أتباعه

الأمناء، ولكنه غير موجود حرفياً ومادياً في الخبز والخمر.

قال يسوع: "اصنعوا هذا لذكري" وهذه الوصية يجب طاعتها، وهي امتياز عظيم وبركة. ولكنها أيضاً مسئولية واضحة. قال يسوع: "اصنعوا هذا". بصيغة الأمر، لذلك يجب أن نصنعه لنطيعه. لذا ينبغي على المسيحيين قبول الشركة المقدسة.

قال يسوع: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" وقال أيضاً في نفس الإصحاح: "الذي يؤمن بي فله حياة أبدية".

"البار بالإيمان يحيا" (عبرانيين 10: 38) "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عب 11: 6).

"فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية 5: 1).

ذبيحة القداس

"أما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله" (عبرانيين 10: 12).

تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن الكاهن بعد أن يكرس الخبز والخمر المستعملين في القداس تتحولان إلى جسد ودم ونفس ولاهوت المسيح ابن الله، أي إلى الله بالذات. وقد أعلن في مجمع ترنت **Trent**: "في سر الأوخارست الطاهر المقدس، وبعد تكريس الخبز والخمر، تتحول هذه إلى ذات المسيح – الإله والإنسان. وهذه الحقيقة متضمنة تحت الأشياء الظاهرة المنظورة".

وتعلم هذه الكنيسة أيضاً أنه يقدم في القداس ذبيحة طاهرة عن الأحياء والأموات، وأن هذه الذبيحة تكرر عند ممارسة كل قداس، وأن الذبيحة في القداس هي ذبيحة جسد ودم يسوع المسيح الغير دموية. ولكن هذا القول "ذبيحة جسد ودم يسوع المسيح الغير دموية" هو قول غير معقول ومتناقض، لأنه لا يوجد شيء يدعى "ذبيحة دم غير دموية". يصرح الكتاب المقدس أنه "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة". وبدون دم لا توجد ذبيحة. وبالتأكيد فإنه لا يوجد أي دم في "ذبيحة القداس".

إن الشركة المقدسة والعشاء السري هي أسماء مختلفة لنفس السر. وقد أمر به الرب لكي نمارسه كذكرى ذبيحة نفسه على الصليب من أجلنا. فالعشاء السري يسمى الشركة المقدسة أو الأوخارست.

إن فكرة القداس على ما هي عليه لم تخطر على بال أحد في أيام الرسل، فآباء الكنيسة لم يعرفوا شيئاً عن هذه العقيدة في القرون الأولى. وعقيدة الاستحالة تقرر كعقيدة إلا عام **1215** في مجمع لاتيران الرابع **Lateran** برئاسة البابا إنوسنت الثالث. فالآباء الذين جاءوا قبل انعقاد مجمع نيقية كتبوا خلال القرون الثلاثة الأولى عن موضوع العشاء السري ولكننا لا نستدل في كتاباتهم إلى ما يشير أنهم آمنوا بعقيدة الذبيحة في القداس. فهناك جستن مارتير **Justin Martyr** الذي يصف اجتماع المؤمنين الأسبوعي وصفاً دقيقاً ويوضح اشتراكهم في هذه الوجبة البسيطة المؤلفة من الخبز والخمر (العشاء الرباني) لذكرى موت المخلص. وفي الرسالة التي أرسلها بليني **Pliny**، عندما كان حاكماً على بيثينيا **Bythinia**، والتي يستفسر فيها عن الشرور التي اقترفها المسيحيون ليستحقوا الموت، وقد وجهها إلى الإمبراطور تراجان **Trajan**، يقول بليني إن جواسيسه الذين بثهم بين جماعات المسيحيين قالوا عن المسيحيين يجتمعون لقراءة الكتاب المقدس والصلاة والترانيم، وأيضاً للاشتراك في وجبة طعام بسيطة جداً مؤلفة من خبز وخمر (العشاء السري).

وعليه يظهر أن عقيدة الذبيحة في القداس لم يعلمها الرسل ولا عرفها المسيحيون في القرون الأولى، إذ أن العقيدة اخترعت وتطورت بعد عدة مئات من السنين كنتيجة لزيادة احتكاك الوثنية بالكنيسة والتأثير عليها.

وكأي كنيسة مسيحية، تسلم الكنيسة الكاثوليكية بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحى بها بالروح القدس. إذاً لنرجع إلى هذا المصدر الإلهي لنرى ما يقوله في هذا الموضوع:

"إن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً" (رومية 6: 9).

"قد مات للخطية مرة واحدة" (رومية 6: 10).

"الذي ليس له اضطرار كل يوم، مثل رؤساء الكهنة، أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه، ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه" (عبرانيين 7: 27).

"وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة... دخل مرة واحدة إلى الأقداس" (عب 9: 11، 12).

"لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله

لأجلنا. ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة... ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه... هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين" (عب **9**: **24 – 28**).

"... نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحد" (عب **7**: **10**).

"وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله" (عب **10**: **12**).

إن حقيقة جلوس المسيح هو للدلالة على أن عمله قد أكمل. هذا العمل الكفاري الكامل الذي لا يتكرر ولا يعاد، ولا يمكن للمسيح أن ينزل من ذلك المكان العظيم ليقدم ذبيحة على أي مذبح، لأنه قد عمل "ذبيحة واحدة من أجل خطايانا إلى الأبد".

"لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (عب **10**: **14**).

"ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد. وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عب **10**: **17**، **18**).

"فإن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله..." (**1** بط **3**: **18**).

وهكذا فإنه بحسب كلمة الله "لا يموت المسيح أكثر من مرة واحدة" و "مات مرة واحدة من أجل الخطايا" وقدم المسيح نفسه "مرة واحدة من أجل الجميع" وكانت "ذبيحة واحدة من أجل خطايانا إلى الأبد" لذلك "لا تكون ذبيحة أكثر من أجل الخطية". كيف يكون إذاً هذا الذي تعمله الكنيسة الكاثوليكية بأن المسيح يقدم ذبيحة في كل قداس؟ مع أن كلمات العهد الجديد تعلن للملأ عن الذبيحة الكاملة الفعالة الغير متكررة التي قدمها المسيح على عود الصليب مرة واحدة، متمماً بذلك قصد الله وخطته. إن الإيمان بذبيحة المسيح الكفارية يمحو جميع الآثام ويغفر كل الخطايا "وأما حيث تكون مغفرة هذه لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عب **10**: **11**)، والذبيحة الخالية من الدم في القداس هي بدون قيمة أبداً لأنه "بدون سفك دم لا تحصل على مغفرة".

إن الوسيلة الوحيدة لمغفرة الخطايا والتطهير الكامل هي ذبيحة المسيح الوحيدة على الصليب. هذا ما تعلنه كلمة الله. فأي الأمرين تقبل – حكمة الله أم عقيدة روما؟

المطهر

تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن المطهر هو المكان الذي تتعذب فيه أرواح الأموات لفترة من الزمن لتطهيرها من بقايا الخطايا الغير مميتة التي اقترفتها هذه الأرواح. فالمطهر إذاً هو مكان عقاب مؤقت للأرواح قبل دخولها السماء.

إن كلمة مطهر لا وجود لها في الكتاب المقدس، وعقيدة المطهر ل تعلمها كلمة الله، فقد دخلت هذه الفكرة إلى الكنيسة الكاثوليكية (ولا أقول إلى الكنيسة المسيحية) من الوثنية، إذ أن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بمطهر، وكذا الإغريق والرومان. فالكتاب المقدس يتكلم بكل وضوح عن مكانين في العالم الآخر هما: السماء والجحيم، لا ثالث لهما. فلو أن المطهر موجود حقاً لكان الرب يسوع قد ذكره هو أو أحد تلاميذه. ولكن صمتهم عن ذكره برهان على عدم وجوده.

إن عقيدة المطهر لم تعلم إلا بعد المسيح بستمائة سنة. ولم تقرر كإحدى عقائد الكنيسة الكاثوليكية إلا عام 1439م. وهذه الفكرة اقتبست من الوثنية، إذ قد نقلها الكهنة الكاثوليك لما فيها من منفعة مادية. فاستطاع الكهنة أن يستغلوها في جمع النقود للصلاة في القداس على الأرواح التي يقال إنها تتعذب "بمطهر". ويعتمدون على ثلاثة مصادر لإثبات زعمهم بوجود المطهر:

1. على كتب الأبوكريفا: ولكن الاقتباسات والمقاطع المأخوذة من هذه الكتب لا يمكن الاعتماد عليها لتثبيت أي شيء، وذلك لأن كتب الأبوكريفا لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من العهد القديم. واليهود أنفسهم الذين ندين لهم بحفظ العهد القديم لم يعتبروا الأبوكريفا قسماً من الكتب المقدسة. زد على ذلك أن بعض هذه الكتب تحتوي على بعض التعاليم المغلوطة والتي لا تتناسق مع تعاليم الكتاب المقدس. والكنيسة الكاثوليكية لم تعتبر هذه كتباً قانونية إلا عام 1546 في مجمع ترنت، لذلك لا يصح الاعتماد على هذا المصدر.

2. الآباء: يجب عدم القبول بسلطة الآباء في موضوع كهذا، لأن فكرة المطهر كما قلنا لم تظهر إلا عام 1439. ثم أن كثيراً من "الآباء" كانوا يتخبطون بدياجير الظلام ويناقضون بعضهم البعض، الأمر الذي أدى إلى خلق البدع التي تكبدت الكنيسة عناء الرد عليها.

3. الادعاء بوجود براهين في الكتاب المقدس:

أ- 1 كورنثوس 3: 13 و 15 حيث يقول: "لأنه بنار يستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو"، "وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار". بما أن كلمة "نار" موجودة في هذه الأعداد، فإن روما تدعي بأنها تشير إلى المطهر. لاحظ أن النار هنا هي لامتحان أعمال الإنسان وليس لامتحان العامل نفسه. إن الآية لا تقول "بالنار" ولكن "كما بنار" أي ليس بالنار، ولكن كما لو انه كانت هناك نار. زد على ذلك أن "اليوم" المذكور في عدد 13 هو اليوم الآخر الذي حسب تعليم الكنيسة الكاثوليكية يبطل فيه وجود المطهر.

ب- "والبرهان" الكتابي الثاني هو ما جاء في رؤ 21: 27 "ولن يدخلها شيء دنس ولا يصنع رجساً وكذباً..." ولكن هذا العدد لا يشير إلى أن النفوس تتطهر بالنار عن طريق ما يسمى بالمطهر. ولكننا نعلم من أعداد كثيرة أخرى أن طريقة التطهير هو بواسطة ذبيحة المسيح مرة واحدة على الصليب (راجع كولوسي 2: 14، 1يو 1: 17، عب 9: 14، رومية 8: 1).

تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن الأرواح التي في المطهر يمكن أن تخلص بأكثر من طريقة، ولكن الطريقة الأكثر فاعلية هي بترديد القداديس على هذه الأرواح. والحقيقة أنه لا تقام قداديس بدون دفع مال.

إن المطهر اختراع بشري لربح المال، فإذا مات إنسان وكان صاحب أموال كثيرة واستخدمت أمواله لترديد القداديس عن روحه، فإنه يستطيع أن ينتقل من المطهر بسرعة. أما إذا كان فقيراً فعليه أن يتعذب إلى يوم القيامة.

إن عقيدة المطهر إنكار لعمل المسيح الكفاري على الصليب. فكلمة الله تصرح أن التطهير من الخطية يتم في هذه الحياة وليس بعد الموت، وبواسطة دم الرب يسوع المسيح المسفوك على الصليب، لا بالنار ولا بالقداديس. وعلى الصليب قال المسيح: "قد أكمل". نعم قد أكمل التطهير التام الناجح المطلوب عندما نطق المصلوب بهذه الكلمات.

إن عقيدة المطهر التي تفرق بين غني وفقير، تجعل الله يحابي بالوجوه، الأمر الذي يناقض كلمة الله التي تصرح في سفر أعمال الرسل 10: 34 "الله لا يقبل بالوجوه".

وهذه العقيدة توهم أن السماء يمكن شراؤها بالمال. فالذي يؤمن بهذه العقيدة يرتكب الخطية التي ارتكبها سمعان الساحر، إذ ظن أنه يستطيع أن يحصل على الروح القدس بالمال. ولكن القديس بطرس وبخه قائلاً: "لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم" (أعمال 8: 20). وفي الرسالة الأولى التي كتبها القديس بطرس نفسه، وفي الإصحاح الأول عدد 18، 19 يقول: "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح". إذاً لا حاجة للمال للدخول إلى السماء: "هكذا يقول الرب... بلا فضة تفكون" (أشعيا 52: 3) "والذي ليس له فضة تعالوا" (أشعيا 55: 1). إن اللص الذي كان مصلوباً عن يمين المسيح. والذي أقر بأنه خاطئ كان من المفروض بحسب العقيدة الكاثوليكية أن يذهب إلى المطهر ويتعذب إلى يوم القيامة. أهذا ما حدث؟ كلا! فإن الرب قال له: "اليوم تكون معي في الفردوس" فبدون مطهر كان اللص في ذات اليوم مع المسيح في المجد.

إن عقيدة المطهر تنحرف بالنفوس عن مخلصها الرب يسوع. وهي مناقضة لكلمة الله، وليست سوى اختراع بشري لربح المال. ويجب على كل مسيحي رفضها رفضاً كلياً.

الصلاة لأجل الموتى

الصلاة لأجل الموتى في الكنيسة الكاثوليكية أمر طبيعي ومصاحب لعقيدة المطهر. ولكن بعض الناس يمارسون الصلاة والتضرع من أجل الأموات على أنه لا علاقة له بالمطهر. وسنبرهن في هذا الفصل أن هذه الصلاة تناقض الديانة المسيحية حسبما علمها الرب يسوع لتلاميذه وكما ينص عليها الكتاب المقدس.

يجب أن لا نصلي لأجل الموتى لأن الكتاب المقدس يعلمنا أن فرصة التوبة والرجوع لله متوفرة في هذه الحياة فقط، وأنه ليس بإمكان الأموات لأن يتوبوا ويرجعوا للمسيح. إن الموت يختم على الحالة الروحية التي يكون فيها الإنسان قبيل موته، ويبقى في هذه الحالة إلى الأبد إذ لا يمكن تغييرها. فالصلاة لأجل الأموات خطية لأنها تحط من قيمة تعليم وإنذارات الرب يسوع بضرورة التوبة والرجوع عن الخطية وقبوله مخلصاً في هذه الحياة. وهذه الصلاة خاطئة لأن الناس في اليوم الآخر سيحاكمون كل واحد حسب أعماله التي عملها في الجسد على الأرض وليس بحسب الأعمال التي عملها في الروح بعد الموت (2 كو 5: 10). كما أن الصلاة لأجل الأموات غير نافعة، وبالتالي خاطئة، لأن الحالة الروحية عند الموت هي نفسها التي سيواجه بها الإنسان الله.

"لأنه لابد أننا جميعاً نظهر كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً".

رؤيا 22: 11 "من يظلم فليظلم بعد. ومن هو نجس فليتنجس بعد. ومن هو بار فليتبرر بعد. ومن هو مقدس فليتقدس بعد".

أشعيا 38: 18 "لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك". لا رجاء لغير المؤمن بعد الموت.

إن الصلاة لأجل الموتى صلاة غير معتبرة، ومن ثم خاطئة لأن فرصة قبول الرب يسوع كمخلص شخصي تعطى في هذه الحياة فقط.

"هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص" (2 كو 6: 2).

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا 3: 36).

إن المؤمنين بالرب يسوع لهم الآن حياة أبدية. لذلك لا منفعة من الصلاة على أرواحهم بعد موتهم لأنهم قد تخلصوا. أما غير المؤمنين فقد "دينوا" و "لن يروا حياة بل يمكث عليهم غضب الله (الآن)". لذلك عندما يموت غير المؤمن فمن العبث والخطأ أن نصلي لأجله لأنه "قد دين" وهلك إلى الأبد. فمن الخطأ أن نصلي لأجل أي شيء يتعارض مع مشيئة الله. وبما أن الكتاب يخبرنا أن غير المؤمنين قد حكم عليهم أن يمكثوا تحت غضب الله، لذلك من الخطأ الصلاة لأجلهم، لأننا بذلك نطلب شيئاً يناقض إرادة الله.

إن الله يحب كل العالم ويريد أن كل إنسان يقبل الخلاص، ولكن الذين يتجاهلون ويرفضون الفرصة المعطاة لهم في هذه الحياة، ولا يتوبون، فإنهم تحت غضب الله الذي يمكث عليهم. لذلك تعتبر الصلاة من أجلهم بعد موتهم ضد إرادة الله. ينبغي أن نصلي لأجل المؤمنين وغير المؤمنين طالما أنهم أحياء، لا بعد أن يموتوا.

"الكثير التوبخ المقسي عنقه بغتة يكسر ولا شفاء" (أمثال 29: 1) فالذين يموتون بلا توبة لا شفاء لهم ولا رجاء، إذ أن مصيرهم الأبدي تقرر عند موتهم.

"وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح عليّ، لأني لا أسمعك" (أرميا 7: 16). الله لا يسمع الصلاة من أجل الموتى.

"بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم" (عبرانين 3: 13).

"اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم" (عب 3:15).

إن الخلاص مقدم لنا اليوم في هذه الحياة فقط وليس فيما يعد. فإذاً يضل من يقول بالصلاة من أجل الموتى غير المخلصين، لأن الله لا يسمع هذه الصلوات إذ أنها تناقض إرادته.

"فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد" (تكوين 6: 3). وقال يسوع: "لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني" (يوحنا 6: 44). ليس أحد يأتي إلى يسوع إلا الذي يجذبه الآب، والله لا يرغم الغير مخلصين. فالذي مات غير مخلص يبقى غير مخلص، لذا فالصلاة لمن لم يتخلص خاطئة ومرفوضة.

إن العهد الجديد من أوله إلى آخره مملوء بالإنذارات للخاطئ ليتوب، طالما أن الفرصة مقدمة إليه في هذه الحياة قبل أن يأتي الموت حين لا ينفع الندم. وهذه إرادة الله أن يتوب الإنسان في هذه الحياة ويرجع إلى الرب فيرحمه، لأن الموت يقطع حبل النجاة فيهوي الخاطئ إلى هاوية لا قرار لها. ولو أنه توجد فرصة في الحياة الآخرة للتوبة لما كان هناك داع إلى هذا التشديد الذي تؤكده كلمة الله على التوبة في الحياة الحاضرة. لذلك، وبما أنه لا توجد أية فرصة بعد الموت للتوبة فإن الاعتقاد بالصلاة لأجل الموتى يشجع الناس على التأجيل والتهاون في التوبة. وهذه فكرة من ابتداع إبليس، زرعها في عقول بعض الناس ليؤجلوا أمر خلاص نفوسهم، وليصرف أذهانهم عن الحقيقة المرة أن من فاته خلاص الرب قد فاته إلى الأبد. وأي فكرة شيطانية هي هذه، فقد ربح الشيطان نفوس الكثيرين والكثيرات عن طريق خداعهم بهذا الأمر الموهوم وبأن أصدقاءهم سيصلون لأجلهم ويطلبون من الله أن يمنحهم الخلاص الذي سيكون نواله من المحال. وهكذا ينجح إبليس عدو النفوس بعقيدته هذه المخربة والمدمرة في اقتناص المهملين والمؤجلين.

ليس في الكتاب المقدس كلمة واحدة تعلمنا الصلاة لأجل الموتى. بل أن الرب يسوع وتلاميذه لم يعلمونا أن نصلي للموتى، الأمر الذي لو أرادوه لكانوا أخبرونا به بطريق أو بآخر. والرب يسوع نفسه لم يصلّ من أجل الأموات. وكذا التلاميذ والرسل والكنيسة الأولى لم تصل ولا مرة من أجل الأموات. ولكن هذه العقيدة أدخلتها الكنيسة الكاثوليكية بعد أكثر من ثلاثمائة عام نتيجة احتكاكها بالوثنية. لذلك فإن عقيدة الصلاة لأجل الموتى تتناقض وروح الكتاب المقدس وإرادة الله، وممارستها أمر خاطئ.

القديسة الطوباوية مريم

تصلي الكنيسة الكاثوليكية لله ولكنها تصلي لمريم أكثر مما لله، كما وأنها تصلي لعدة قديسين آخرين. وبما أن الكنيسة تعتبر مريم "رئيسة" القديسين، فإننا إذا أثبتنا أنه من الخطأ الصلاة إليها، حينئذ يكون واضحاً. أيضاً أنه من الخطأ أن نصلي إلى أي قديس آخر.

يقول كهنة الكنيسة الكاثوليكية أحياناً إن كنيستهم وحدها هي التي تؤمن بمريم. إن هذا القول غير صحيح فإن الكنائس الإنجيلية تقدر وتحترم مريم المباركة كأم يسوع بحسب الجسد. وتؤمن أن مريم مباركة ومحترمة ومطوبة أكثر من أي امرأة أخرى وأنها نقية ومقدسة، وإن لم تكن كذلك لما اختارها الله لتكون أم طبيعة المسيح البشرية. فقد أعلى الله شأنها لأنها كانت عذراء صالحة.

تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم ولدت بدون خطية وأنها كانت خالية تماماً من كل خطية. لكن الكتاب المقدس يخبرنا أن ولادة مريم المباركة كانت بنفس الطريقة كأي إنسان آخر وبنفس الدوافع والضعفات والضروريات والحدود البشرية وأنها بحاجة إلى خلاص.

يقول الكتاب المقدس: "المولود من الجسد جسد هو" (يوحنا 3: 6).

"من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد" (أيوب 14: 4).

لقد ورثت مريم المباركة ذات الطبيعة والخطية الأصلية مثل أي شخص آخر. فإن يسوع وحده لم يرث هذه الطبيعة لأنه كان ابن الله، وقد ولد بدون خطية خلال عملية الروح القدس في مريم. فلو أن مريم ولدت بدون خطية أصلية فهذا يعني حتماً أن والديها كانا خاليين هما أيضاً من الخطية الأصلية، لا بل وجدودها وجدود جدودها أيضاً. أليس كذلك؟ هذا أمر مستحيل وغير معقول ومناقض للكتاب.

"لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو 3: 23).

"وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو 5: 12).

"فقالت مريم: تعظم نفسي الرب. وتبتهج روحي بالله مخلصي. لأنه نظر إلى تواضع أمته" (لوقا 1: 46 و 48). أدركت مريم خطيتها الخاصة، وعرفت أنها محتاجة إلى مخلص، وأن الله كان مخلصها. فإن لم تكن قد ولدت بالخطية لما احتاجت إلى مخلص.

وتعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم هي "أم الله" وبذلك تجعلها أم الطبيعة الإلهية للمسيح. لم تكن مريم أم لاهوت المسيح ولكنها كانت أم الطبيعة البشرية فقط. وعندما نقول أن مريم هي "أم" الله نعتبرها موجودة قبل الله ونجعل الله بداية، مع العلم أنها مخلوقة بشرية خلقها الله كباقي الناس. صحيح أن أليصابات قالت لها: "أم ربي" في لوقا 1: 43، ولكن ذلك لا يعني أنها أم يهوه، "أم الله" إذ في اللغة اليونانية، لغة الإنجيل الأصلية، كلمة "رب" تشير إلى يسوع كمولود في العالم وليس إلى يهوه. والقصد الحقيقي من تسمية مريم "أم الله" هو رفعها وتمجيدها بينما هي مخلوقة بشرية والكتاب المقدس لم يطلق عليها هذا اللقب.

وتعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم قادرة على كل شيء، وأنها غير محدودة في الرحمة، وتصلي إليها كملكة السماء والملائكة، وتدعوها ملجأ الخطاة وباب السماء وأم الرحمات. وتعلم أن الخلاص ينال عن طريق مريم وحدها، وهي بالتالي الشفيعة العظيمة بين الله والإنسان. ولم تعرف هذه التعاليم في القرون الأربعة الأولى ولم يتقرر هذا كعقيدة إلا عام 1854.

وتطلب الكنيسة الكاثوليكية من أعضائها وتشجعهم أن يصلوا إلى مريم كرئيسة النجاة، ويدّعون أنها أقوى من أي

شخص آخر وسريعة لنجدة وخلاص الخطاة. ويدّعون أنها لم تمت، ولكنها اختطفت إلى السماء. وهناك هي ملكة جالسة على عرش الله مع الآب والابن والروح القدس. وهي الرجاء الوحيد للخطاة، ولا خلاص إلا بها، مع انه لا يوجد حرف واحد من هذا التعليم في الكتاب المقدس، وهذا يظهر تناقض كنيسة روما مع كلمة الله وبعدها عن الديانة الحقيقية.

إن مريم لا تستطيع أن تسمع صلواتنا، ولا أي قديس آخر يستطيع أن يسمعنا، لأنهم لا يستطيعون أن يروا ويقرؤوا القلوب ويعرفوا كل الأفكار ليميزوا إن كانت الصلاة من القلب أم لا. وهم لا يستطيعون معرفة القلوب لأن الله فقط يعرف قلوب وأفكار الناس، فاحص القلوب والكلى.

"فاسمع أنت من السماء مكان سكناك، واغفر واعمل واعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه، لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر" (أخبار الأيام الثاني 6: 30).

لا يستطيع القديسون الراحلون أن يسمعوا الصلاة، "أما الموتى فلا يعملون شيئاً، وليس لهم أجر، لأن ذكرهم نسي... ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل عمل تحت الشمس" (جا 9: 5، 6).

خلق الله مريم كباقي البشر وعبادة المخلوق والصلاة إليه تعتبر خطية. تقول كلمة الله المقدسة إن الغضب سيستعلن على "الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق، الذي هو مبارك إلى الأبد" (رومية 1: 25).

تصلي الكنيسة الكاثوليكية إلى الله كما تصلي إلى مريم وباقي القديسين، ولكنها تنسى أن الله لا يريد عبادة مجزءة ومقسمة، وهو يمنعنا من عبادة أي مخلوق من خليقته. إنه لا يقبل مريم شريكة له ولم يقسم مجده معها. يقول النبي أشعيا 42: 8 "أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمخلوقات". تكلمت مريم عن حالتها المتواضعة وعن المسيح مخلصها عندما قالت: "تبتهج روحي بالله مخلصي، لأنه نظر إلى تواضع أمته" (لوقا 1: 47، 48).

الصلاة لمريم خطية، فليس بوسع مريم أن تستجيب، إذ أنها لا تسمع. إن عملها قد انتهى عندما ولد يسوع منها في الجسد واعتنت بحاجاته الزمنية عندما كان على الأرض. وهي محتاجة إليه كما كان كل واحد من الرسل أمام المسيح (اقرأ مرقس 9: 14 – 25).

لم يكن لمريم علاقة بعمل المسيح ورسالته على الأرض ولم يكن لها تأثير عليه في شيء. وعندما حاولت أن تؤثر عليه لم يعمل بحسب إرادتها، وقد حاولت ذلك ثلاث مرات: أول مرة في لوقا 2: 48 – 49 والثانية في مرقس 3: 31 – 33 والثالثة في يوحنا 2: 3 – 4.

وليس في السجل المقدس إلا وصية واحدة لمريم، وهي أن نطيع أوامر الرب يسوع: "مهما قال لكم فافعلوه" (يوحنا 2: 5). لم تطلب من أي إنسان أن يأتي أو يطلب إليها، فقد عرفت أن يسوع هو ابن الله ومخلص العالم الوحيد، وأرادت من كل شخص أن يطيعه ويخدمه ويثق به للخلاص كما عملت هي. فهو المخلص والشفيع والمحامي.

"لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (1 تي 2: 5، 6).

"وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال الرسل 4: 12).

"قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا 14: 6). إن الطريقة الوحيدة التي تأتي فيها إلى الآب هي بواسطة المسيح والذين يثقون بغير يسوع للخلاص سيهلكون إلى الأبد.

"عطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح" (رو 5: 17).

"لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (1

يوحنا 1: 1 – 2).

"فمن ثم يقدر (يسوع المسيح) أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عبرانيين 7: 25).

إن المسيح وحده هو كوكب الصبح المنير، الذي قال "أنا أصل وذرية داود. كوكب الصبح المنير" (رؤ 22: 6). هو النور الحقيقي الوحيد، والذين يتبعونه بحسب وعده لا يسيرون في الظلمة ولكنهم سينالون نور الحياة. قال يسوع: "أنا هو نور العالم، الذي يتبعني لا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يوحنا 8: 12). يسوع وحده هو نور العالم، وهو وحده باب الخراف. قال يسوع: "أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص" (يوحنا 3: 9). نرى بأن يسوع يوبخ الذين يذهبون إلى غيره، فقد قال: "الحق الحق أقول لكم إذ الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر، فذاك سارق ولص" (يو 10: 1). يجب أن ندخل السماء من خلال الباب الوحيد، يسوع المسيح حتى نخلص ولكن الذين يحاولون التسلق من مكان آخر سيطرحون خارجاً في الظلمة الأبدية كاللصوص وقطاع الطرق.

المسيح وحده هو رجاء الخطاة، لا مريم.

"طوبى لمن رجاؤه على الرب إلهه" (مز 146: 5).

"أنت رجائي يا سيدي الرب" (مز 71: 5).

"مبارك الرجل الذي يتكل على الرب" (إرميا 17: 7).

"الرب ملجأ لشعبه" (يوئيل 3: 16).

"ربنا يسوع المسيح رجاؤنا" (1 تي 1: 1).

"المسيح فيكم رجاء المجد" (كولوسي 1: 27).

"إيمانكم ورجاؤكم هما في الله" (1 بط 1: 27).

لا يسجل الكتاب المقدس شيئاً عن ألوهية مريم ولا صفاتها كسلطانة ورئيسة. لم يخبرنا يسوع ولا التلاميذ أن نصلي إلى مريم.

نحن لسنا بحاجة إلى مريم ولا إلى أي إنسان، ولكن حاجتنا الوحيدة هي إلى الرب يسوع المسيح، وحده الشفيع بين الله والإنسان، وهو إله محب ويريد مساعدة أولاده بكل طريقة صالحة.

"الله محبة" (1 يو 4: 8).

"الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء" (خروج 34: 6).

"رحمتك عظيمة" (مزمور 57: 10).

"لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك" (مزمور 86: 5).

"لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته، وإلى دور فدور أمانته" (مز 100: 5).

فلنسمع المسيح المخلص الوحيد يقول لكل خاطئ: "الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً" (يوحنا 16: 23 و 24).

"ومهما طلبتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله" (يوحنا 14: 13 و 14).

"تعالوا إلي أيها المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (متى 11: 28).

هل تريد أن تخسر نفسك؟ حينئذ ضعها عند غير يسوع!

هل تريد أن تخلص نفسك؟ إذاً ضعها بين يدي يسوع. لقد أضاعت مريم يسوع عندما كان صبياً في هيكل أورشليم،

ولم تعرف أين تجده وفتشت عليه مدة طويلة حتى وجدته. وهي ستضيع كل نفس تثق بها الآن، ليس لأنها تريد ذلك، ولكن لأنه ليس بوسعها أن تخلص البشر. لكن يسوع سيخلص إلى النهاية كل الذين يأتون إلى الله باسمه.

يحسن بالمسيحي إذاً أن يستبدل صلاة "السلام عليك يا مريم" بصلاة ليسوع رب المجد: تكون في انسجام مع إرادته الإلهية ومع كلمته المحيية، إذا كانت هكذا: "مبارك أنت يا يسوع ابن الله، مخلص العالم، الذي أحببتنا نحن الخطاة، وأسلمت نفسك لأجلنا. اغفر لنا خطايانا وخلصنا الآن وفي ساعة موتنا. آمين".

الصليب و التماثيل

هناك كثير من التماثيل والصور التي تمثل يسوع ومريم والقديسين في الكنيسة الكاثوليكية، والشعب يقبل هذه التماثيل والصور ويركع لها ويصلي أمامها. وقد ابتدأت الكنيسة الكاثوليكية بممارسة هذه الأمور عام 788. ومنذ ذلك الحين والصليب، وهو عبارة عن تمثال للرب يسوع مصلوباً على خشبة، يوضع فوق مذابح الكنائس حيث تمارس طقوس العبادة. ولكن الله يمنع الصلاة أمام الصليب أو التماثيل.

تقول الكنيسة الكاثوليكية بأنها لا تعبد التماثيل والصلبان والصور، إلخ، ولكنها تعبد الرب الذي يمثله الصليب. وهي باستعمالها لهذه الرموز إنما ترفع من قيمة القديسين وتزيدهم شرفاً. قد غاب عنها أن هذا العذر قد استعمله الوثنيون قبل عام 788، وقالوا أنهم لا يعبدون الأصنام الحجرية أو المعدنية، ولكنهم يعبدون الشخص الذي تمثله هذه الأصنام. ولكن مهما تكن التعليلات النظرية من هذا النوع، هي بنظر الله، وبمفهوم ممارسة الناس لها، عبادة أوثان.

يقول الكتاب في سفر الخروج إصحاح 20 وعدد 4 و 5: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما على الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن".

مهما يكن قصدك ونية قلبك من الانحناء قليلاً أمام التماثيل أو الركوع لها، فإن هذا العمل خطية عظيمة، لأن يناقض إرادة الله. والصليب هو تمثال، هو صنم، والله يمنع السجود أمامه. كما وقال: "لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً، صورة مثال ما، شبه ذكر أو أنثى" (تثنية 4: 16). وأيضاً "أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات" (أشعيا 42: 8). وفي نفس السفر إصحاح 44 وعدد 9 يقول "الذين يصورون صنماً كلهم باطل مشتهياتهم لا تنفع، وشهودهم هي. لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى" ثم في أسفار أخرى يقول: "لا تصنعوا لكم أوثاناً، ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصباً، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له. لأني أنا الرب إلهكم" (لاويين 26: 1).

"احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً، صورة كل ما نهاك الرب إلهك" (تثنية 4: 23).

"ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب" (تثنية 27: 15).

وهكذا يظهر بكل وضوح أن الله يكره التماثيل والصلبان والأصنام والصور. "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه... ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك" (تثنية 28: 15 و 19).

فالإنسان الذي يخالف أمر الرب باحتفاظه واستعماله لهذه التماثيل والصلبان إلخ، يكون تحت لعنة الله.

تنفرد المسيحية بأنها ترفع أنظار المؤمن وتسمو به إلى عالم الروحيات والسماويات، وأنها تحلق بنفوس اتباعها فوق عالم الماديات والمنظورات، إلى سماء الآب السماوي الذي يطلب منا عبادة غير مقسمة ولا مجزأة.

"أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام" (1 يوحنا 5: 21).

"الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو 4: 24).

الاعتراف

تعتبر كل الديانات أن الخطية هي ضد الله وناموسه، وأتباعها يدركون ضرورة تكييف أنفسهم أمام الله للخلاص من خطاياهم التي علموها. فالخطية هي التعدي على ناموس الله، وعلى الخاطئ أن يعرف الطريق التي أعدها الله للمغفرة والخلاص. الاعتراف خطوة ضرورية للحصول على الغفران "من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقر بها ويتركها، يرحم" (أمثال 28: 13). يعلمنا المخلص في الصلاة الربانية إلى من ينبغي ان نصلي لمغفرة الخطايا: إلى أبينا الذي في السماء. ويخبرنا الكتاب المقدس أنه خلال ذبيحة المسيح الكفارية الواحدة على الصليب يمنحنا الله مغفرة خطايانا "الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته" (أفسس 1: 7).

تعلم كنيسة روما أن الاعتراف السري للكاهن هو ذاك الاعتراف لنوال مغفرة الخطايا التي اقترفها المرء بعد المعمودية. وبحسب اللاهوت الكاثوليكي، تطهر المعمودية من الخطية الأصلية، وبعدها يمنح الكهنة الغفران عن كل الخطايا العرضية التي تقترف بعد المعمودية.

أقرت الكنيسة الاعتراف للكهنة عام 1215. وفي عام 1557 لعن مجمع "ترنت" كل الذين قرءوا جزءاً من الكتاب المقدس جعلهم يرفضون الاعتراف للكهنة.

"البند السادس: إن كل من يرفض قبول سر الاعتراف باعتباره وصية إلهية وضرورية للخلاص، أو من يصرح أن ممارسة الاعتراف السري للكاهن وحده، كما حفظته وتحفظه الكنيسة الكاثوليكية هو غريب عن مؤسسة المسيح وأوامره وبأنه ابتداع بشري، لتحل عليه اللعنة".

يمارس الاعتراف للكاهن في مكان خاص في الكنيسة يدعى قفص الاعتراف وأحياناً في غرفة منفردة أو في غرفة المريض المحتضر، على أن يكون الكاهن وحده مع الشخص المعترف. ويعترف معظم أعضاء الكنيسة الكاثوليكية مرة شهرياً، ولإثبات مركز أي عضو عليه أن يعترف ولو مرة في السنة. أتسأل: ما هو المرجع الكتابي الذي يؤيد طريقة روما في الاعتراف؟ غالباً هو هذه الآية التي يغلط تفسيرها: "اقبلوا الروح القدس. ومن غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" (يوحنا 20: 22 و23). فعلى هذا تؤمن كنيسة روما أن الرسل أخذوا سلطاناً لمغفرة الخطايا لم تعط للرسل فقط ولكن للتلاميذ والمؤمنين أيضاً.

إنجيل يوحنا 20: 19 يقول: "ولما كانت عشية ذلك اليوم، هو أول الأسبوع، كانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود. جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم: سلام لكم". وفي العدد الذي يليه يقول "ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب".

لم تستعمل هنا كلمة الرسل. وهي تشمل المؤمنين والأعضاء. بحسب هذه الآيات نرى أن القوة أعطيت لكل التلاميذ.

ويعطينا إنجيل لوقا إصحاح 24 أمراً آخر بخصوص نفس الأمر، فيخبرنا الرب كيف يجب أن تغفر الخطية: "حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب، وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم" (لا من روما) (45 – 47). هذه هي طريق مغفرة الخطايا. ولكن كيف مارس التلاميذ والرسل هذه الطريقة، كما أمرهم الرب؟ وعظوا أولاً عن الرب يسوع المسيح المخلص، معلنين أن جميع الذين يتوبون ويؤمنون تغفر خطاياهم، والذين يرفضون التوبة والإيمان تمسك خطاياهم. هل ادعى الرسل أنهم مكان الله متسربلون بقوته، وهل أمروا الناس أن يركعوا لهم معترفين بكل صغيرة وكبيرة، وهل ادعوا بإعطاء

المغفرة؟ لا! لم يدعوا ذلك أبداً. وهل ذهب الرسل والتلاميذ إلى كاهن للاعتراف؟ كلا! وهل اعترف الناس لهم؟ كلا أيضاً! لم يعلمنا المسيح بالاعتراف للكاهن ولا أحد من الرسل. لا يوجد في الكتاب المقدس كلمة واحدة تؤيد طريقة الاعتراف هذه. ولو أنها من ترتيب المسيح لكان الكتاب يخبرنا بذلك.

يسبب الاعتراف للكاهن خطايا أكثر من تلك التي يتخلص منها المعترف (إذ كان حقاً يتخلص من أي منها)، ويشكل الاعتراف حجر رحى توضع في عنق المعترف تغوص به إلى أعماق بحر الهلاك "لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح" (أفسس 5: 12).

"لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين" (أفسس 4 : 29).

إنه لأمر مشين ومعيب على المرأة أو الفتاة أن تعترف بكل خطاياها التي اقترفتها بالأعمال والأفكار، وأن تشرح بكلمات مسموعة في آذان رجل ليس زوجها. ولا تزال روما تطلب من النساء والفتيات أن يخبرن بكل الأشياء بالاعتراف بها لكهنتها غير المتزوجين. ليست الديانة دخولاً إلى المياه القذرة وتحريكها إلى العمق لتغتسل بها وتنظف. ليس للكاهن أي حق في البحث لاكتشاف الخطايا السرية في الإنسان. هذا عمل يخص الله لا سواه. اذهب إلى الرب واعترف بها، فإنه لا يوجد أحق من الله في فحص ضميرك واختبار قلبك. ثم إن الغفران الذي يقدمه الكاهن ليست له أي فاعلية. فكنيسة روما تعلم أنه في حالة احتضار مريض وعدم وجود كاهن للاعتراف، يقدر المريض أن يصرح على الله ويطلب الغفران منه. وفي هذه الحالة يستجيب الله ويغفر له خطاياه. وإن كان الله يستطيع أن يغفر خطية شخص في اللحظات الأخيرة في ساحة المعركة، أو في الغابة أو في البرية، فإنه يقدر أن يغفر خطايا الإنسان وهو في بيته دون طلب الكاهن. فالذي يعمله الله للإنسان في ساحة المعركة أو في الغابة أو في الصحراء، يستطيع أن يعمله في كل مكان.

وتعلم الكنيسة الكاثوليكية أيضاً بوجوب التوبة التامة إلى الله، والتي ينال التائب فيها غفراناً كاملاً من جميع ذنوبه وخطاياه، حتى بدون أن يغفر له الكاهن. وأيضاً تعلم انه من الممكن أن ينال إنسان ما غفراناً من الكاهن دون أن يناله من الله، وذلك إذا لم يعترف بكل خطاياه ولم يقر بكل ما يسأله عنه الكاهن. ثم أنه من الممكن أن يرفض كاهن اعتراف شخص ما، ويقبل كاهن آخر نفس الاعتراف المرفوض. إن هذا تناقض في التعليم هو برهان على عدم فائدة الاعتراف للكاهن. أتسأل عما يحدث للرجل المريض الذي يعترف للكاهن، وبعدها بأيام قليلة يخطئ بالفكر والكلام والعمل ثم يموت؟ هل غفر الله هذه الخطايا الأخيرة؟ أم دعني أقول: هل غفر الكاهن هذه الخطايا؟ لا! إن غفران الكاهن لا قيمة له فالغفران الحقيقي المقبول هو غفران الله الذي يمكن أن نحصل عليه في أي وقت، عندما نذهب إليه مباشرة.

ثم يجب على المسيحيين أن يرفضوا الاعتراف للكاهن لسبب آخر، وهو أن الله وحده يستطيع أن يغفر الخطايا. إن الكتاب المقدس لا يسجل لنا أي حادثة تشير إلى أن أحد الرسل أخذ يذهب من مكان إلى آخر (كما يعتقد كل من لا يقرأ الكتاب المقدس) ويستمع إلى اعترافات الناس ويغفر لهم. والتاريخ نفسه لا يذكر أي حادثة من هذا النوع، أو حتى يستفاد منها أن الرسل عينوا أناساً لهذا الغرض.

فالكتاب المقدس يخبرنا (في يوحنا 3: 16 وفي أماكن أخرى) أن الله يحبنا، وأنه رؤوف كثير الرحمة وألا يخفي عليه شيء، فقد قال: "أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها (أشعيا 43: 25). "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (1 يو 1: 9). فيجب أن نذهب مباشرة إلى الله بدون الكاهن "فإذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله" (رومية 14: 12).

اقرأ معي لوقا 18 : 13 _ 14 (" وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على

صدره قائلاً : اللهم ارحمني أنا الخاطئ . أقول لكم أن هذا نزل إلى بيته مبرراً)". تستطيع أن تتمثل بالعشار وأن تحصل على الغفران. ((ليترك الشرير طريقه ورجل الأثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى الهنا لأنه يكثر الغفران)) (اشعياء 55 : 7).

مبارك يسوع ابن الله! ((مخلص العالم، يا من أحببتنا نحن الخطاة، وأسلمت نفسك لأجلنا، اغفر لنا خطايانا وخلصنا الآن وفي ساعة موتنا. آمين))

ملحوظة : يمكن للمؤمن أن يطلب النصح والإرشاد من راعي الكنيسة، كما يعلمنا الإنجيل : ((ثم نسألكم أيها الاخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم، وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم)) (1 تسالونيكي 5 :12 ، 13). كما يقول : ((أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم، كأنهم سوف يعطون حساباً. لكي يفعلوا ذلك بفرح)) (عبرانيين 13 : 17).

الخلاص

تقول روما: "لا خلاص خارج الكنيسة الرومانية"

قال البابا بونيفاس الثامن، في خطابه البابوي يوم 18 تشرين الثاني عام 1302: "نحن نصرح ونقول ونعزم ونؤكد أنه من الضروري لكل مخلوق أن يخضع للسلطة البابوية لينال الخلاص". مع أن الكتاب المقدس يخلو من كل كلمة تؤيد خضوع الإنسان للكنيسة الرومانية للحصول على الخلاص!

وتعلم كنيسة روما أن المعمودية هي الوسيلة للتبرير، وأن النعمة التي اقتناها المسيح بدمه لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الكهنة. كما تعلم أن المعمودية تمحو الخطيئة الأصلية، وبواسطتها يصبح الإنسان مسيحياً وينال الميلاد الثاني والولادة الروحية. وبالرغم من أن روما تطلب من أتباعها الإيمان بالمسيح، إلا أن الإيمان لا يعتبر الطريق الوحيد للخلاص. ومفهوم الخلاص حسب تعليم هذه الكنيسة هو نتيجة الأعمال الصالحة أكثر منه نتيجة الإيمان. أي أنه يتم الحصول عليه من ممارسة العشاء الرباني والأعمال الصالحة.. اعمل ما تأمر به كنيسة روما فتخلص. أي أن في الخلاص في كنيسة روما يعتمد على الأعمال، لا على الإيمان المطلق والثقة التامة في المسيح. وفي المفهوم العملي والتطبيقي لهذا الاعتقاد يعتمد الكاثوليكيون على أعمالهم الصالحة وجهودهم المتواصلة لنيل الخلاص، لا على المسيح يسوع نفسه.

تقول الكنيسة الرومانية: "إذا ادعى أحد أن الإيمان المبرر هو بساطة الثقة بالنعمة الإلهية الماحية الخطايا من أجل المسيح، أو أن الإيمان هو وسيلة التبرير، ليكن ملعوناً". فأمامنا الآن طريقتان مختلفتان ومتناقضتان لنوال الخلاص. الأولى تقول أن الخلاص هو نتيجة الأعمال الصالحة وتنازل العشاء السري والمعمودية. والطريقة الثانية تقول أن الخلاص هو هبة من الله ويمكن الحصول عليه بالإيمان وحده. وبما أن هاتين الطريقتين متناقضتان، فإن واحدة منهما الصحيحة والأخرى باطلة.

لنلاحظ بتدقيق كلمات الله المعصومة من الخطأ:

"بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله" (عبرانيين 11: 6).

"أما البار فبالإيمان يحيا" (رومية 1: 17).

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية 3: 24).

"الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس" (رومية 3: 28).

"آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص" (أعمال الرسل 16: 31).

"وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى" (أعمال 13: 36).

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد،لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16).

"الذي يؤمن به لا يدان" (يوحنا 3: 18).

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يوحنا 3: 36).

نحن لا نخلص نتيجة أعمالنا مهما كانت صالحة:

"لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تيطس 3: 5، 6).

"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس 2:

8، 9).

"فإذاً قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية 5: 1).

فالخلاص إذاً هو بالإيمان بيسوع المسيح، وهو عطية الله لنا، ونحن لا نستطيع أن نخلص أنفسنا أو نصنع خلاصنا. لأن الخلاص ليس نتيجة أعمالنا "لكي لا يفتخر أحد". فالطريقة الوحيدة للحصول على المصالحة والسلام مع الله هي بالإيمان "ليس من أعمال في بر عملناها نحن".

إن أعمالنا لا تمنحنا بر الله الذي يخلصنا "فقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمالنا برنا" (أشعيا 64: 6) "كذلك أنتم أيضاً متى عملتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لوقا 17: 10). فالبر الوحيد الذي يؤهلنا للحياة الأبدية هو بر يسوع المسيح، الذي يهبه لنا بالإيمان. إذ لا يمكننا أن نناله بأعمالنا الصالحة، التي إذا اتكلنا عليها سنهلك إلى الأبد.

يقول الروح القدس: "أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين. وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً" (رو 4: 4، 5). فالذي يؤمن بالمسيح يحسب إيمانه براً. هذه الآيات من رسالة رومية تعني أننا إذا اعتبرنا أن الأعمال الصالحة هي التي تبررنا وتخلصنا فإننا نعتبر أن الله مديون لنا ونعتبر أن الخلاص ليس بالنعمة. وهذا ما لا يعلمه العهد الجديد أبداً، لأنه يجعل ذبيحة المسيح بدون قيمة وبلا فائدة. أعمال برنا خرق بالية في نظر الله، وكل هذا البر هو بالإيمان بالذبيحة على الصليب. نحن لا نحصل على الخلاص بواسطة تعذيب أو آلام. لا نستطيع أن نخلص نفوسنا بتعذيب أجسادنا، فالخلاص عطية ومنحة مجانية معطاة لنا بلا مقابل، بدون ثمن وهو من محبة الله ولطفه.

"هو عطية الله" (أفسس 2: 8).

"الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة (الأبدية) بالواحد يسوع المسيح" (رومية 5: 17).

"ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة" (رومية 5: 18).

"هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية 6: 23).

"وبلا فضة تفكون" (أشعيا 52: 3).

"ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً" (رؤيا 22: 17).

"فشكراً لله على عطيته التي لا يعبر عنها" (2 كورنثوس 9: 15).

في اللحظة التي يتوق فيها الخاطئ ويثق بالرب يسوع كمخلص شخصي، ينتقل إلى حالة النعمة بعد أن كان مستوجباً النار الأبدية، والآن يستحق الثواب الأبدي، كان ابناً لإبليس فيصبح ابناً لله، كان بلا هدف ولا قرار في الحياة، فيصبح مالكا للحياة الأبدية، لأنه مكتوب " الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" فالذي يؤمن به الآن في حال إيمانه وساعة اعترافه حياة أبدية. لاحظ أن الآية لا تقول إن الحياة الأبدية هي مكافأة لأعمالنا الحسنة، ولكنها نتيجة الإيمان بالرب يسوع كابن الله. (يوحنا 3: 36).

إن إيمان أولاد الله هو إيمان عملي، أي أن أعمالهم تظهرهم أنهم مؤمنون. لا يمكن اقتناء الحياة الأبدية بالأعمال، لكن الأعمال الصالحة هي برهان الحصول على الحياة الأبدية. إن طريقة الله للخلاص هي باستحقاقات دم يسوع المسيح "الذي تألم ومات من أجلنا" "الذي بجلدته شفينا" (1 بطرس 2:24).

"ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم" (يعقوب 1: 22).

"الإيمان بدون أعمال ميت" (يعقوب 2: 20).

فإن كل من يدعي أن عنده إيماناً بالمسيح ولكنه يعيش حياة الخطية فهذا يكون مخدوعاً، فالإيمان الحقيقي له ثمار "أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني" (يعقوب 2: 18). فكما أن الشجرة الجيدة تعطي ثماراً جيدة كذلك يجب أن الإيمان الجيد يعطي ثماراً جيدة. فالذي يؤمن بالمسيح يحب المسيح ويحفظ وصاياه إذ لا يمكن أن نحب المسيح دون أن نحفظ وصاياه.

هناك آيتان في العهد الجديد متشابهتان: "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا" (1 تي 1: 15). "صادقة هي الكلمة، وأريد أن تقرر هذه الأمور لكي يهتم الذين آمنوا أن يمارسوا أعمالاً حسنة". (تيطس 3: 8).

وهكذا نرى أننا ننال الخلاص بإيماننا باستحقاقات المسيح، وبالإيمان فقط، إذ أنه عطية الله. فكل الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون، والذين يخلصون يجب أن يثمروا. إذ أن الأعمال الصالحة هي النتيجة الحتمية للإيمان.

"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس 2: 8 و 9).

الكتاب المقدس والتقليد

تؤمن كنيسة روما أن الكتاب المقدس موحى به من الله، وأنه معصوم من كل خطأ، إذ أنه كلمة الله. ولكنها تؤمن أيضاً أن التقليد مساو لقيمة الكتاب المقدس من الناحية المرجعية.

بعد صعود المسيح بمئات السنين كان الكتاب المقدس هو الدستور الوحيد لإيمان كل المسيحيين. ولكن على مر القرون وجدت كنيسة روما حاجتها لإدخال بعض القوانين والنظم التي تخدم مصلحتها، فلجأت عام 1546 إلى إعلان مساواة هذه القوانين (المعروفة بالتقليد) للكتاب المقدس. والتقليد بحد ذاته ليس ضرورياً لإسناد "الإيمان المسلم مرة للقديسين" لأن الإيمان المسيحي الحقيقي موضوع بطريقة مبسطة جداً في كلمة الله. ولكنه ضروري لدعم تعاليم الدخيلة في الدين المسيحي.

ففي سنة 1546 التي أعلنت فيها روما مساواة التقليد والكتاب المقدس، أعلنت أيضاً أن كتب الأبوكريفا هي جزء من كلمة الله بالرغم من أن اليهود، الذين أخذت الكنيسة منهم أسفار العهد القديم، لم يعتبروها كذلك، ولا نظروا لها نفس نظرتهم للتوراة التي يقبلونها موحاة من الروح القدس. وهذه الكتب المزادة على الكتاب تحتوي على بعض الأساطير والخرافات، وتتناقض وروح باقي الأسفار الإلهية، لأنها غير موحى بها وليست جزءاً من كتاب الله.

لاحظ إلى من سلم الإيمان، "أكتب إليكم واعظاً أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين". وهذا يعني إلى كل الذين يؤمنون بالمسيح رجالاً ونساء على حد سواء، وإلى كل الذين يحبون الرب ويحفظون وصاياه وذلك لأن رسالة يهوذا لم تكتب إلى جماعة أو كنيسة معينة بل هي لكل المؤمنين على مر العصور. وكانت نتيجة الجهود التي بذلها المسيحيون الأولون في حفظ الإيمان المسلم إليهم أن قدموا إلى العالم كتاب العهد الجديد، الذي ساهم عدد من المبشرين والرسل في كتابته في مدة الـ95 سنة التي تلت مولد المسيح. وهكذا نرى أن إيمان الأخوة الأولين كان بالكتاب المقدس باعتباره كلمة الله الموحى بها.

كان طلب القديس يهوذا أن "يجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين". وهذا الإيمان هو كيان الإنجيل الحقيقي الظاهر في خطة الخلاص، التي أعلنت لهم من خلال كتابات الرسل والتلاميذ الموحى بها من الروح القدس، التي أعلنت لهم من خلال كتابات الرسل والتلاميذ الموحى بها من الروح القدس، والتي يتضمنها الآن العهد الجديد. وهي الحقيقة الوحيدة للإيمان المسيحي. وبما أن هذا الإيمان سلم مرة واحدة للقديسين، وهو إيمان كامل غير منقوص ومتضمن في كلمة الله التي هي الكتاب المقدس، فيلزم أن نقبل هذا الكتاب كحكم نهائي لإيماننا، ولا يمكن بأي طريقة أن نقبل شيئاً يزيد أو ينقص من كلمة الله الكاملة.

ولكن كنيسة روما تقول إن الكتاب المقدس يأمرنا أن نتمسك بالتقليد وذلك باعتمادها على هذه الآية: "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها، سواء كان بالكلام أم برسالتنا". (2 تسالونيكي 2: 15) لماذا إذاً لا نقبل التقليد؟ إن الجواب على هذا السؤال واضح وبسيط، وهو أن التقليد الموجود حالياً هو تقليد اصطنعته كنيسة روما على مر العصور وفيه ما يناقض الكتاب المقدس.

لقد أدان المسيح تقاليد البشر حين قال لليهود: "وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟" (متى 15: 3) وفي مكان آخر: "وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس. لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس" (مرقس 7: 7، 8) وقال الرسول بولس: "انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح" (كولوسي 2: 8).

إن المثل الأعلى للحياة المسيحية متضمن في كلمة الله المكتوبة بالروح القدس، وكل ما يتناقض مع هذه الكلمة لا أساس له. لأن الكتاب لا يمكن أن يكون غير كاف أو متناقضاً، وبالتالي فهو دستور الحياة المسيحية الوحيد. والله يحثنا أن ندرس الكتاب وأن نقلب صفحاته عسى أن نسلك في النهج القويم في كل حين، كما قال المسيح: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة، وهي التي تشهد لي" (يوحنا 5: 39). ويقول بولس: "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح" (2 تي 3: 16 ، 17).

وقال لتلميذه تيموثاوس:

"تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذي بالمسيح يسوع" (2 تي 3: 15). فالكتب المقدسة هي الوحيدة التي تكمنا للخلاص. "وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم: هل هذه الأمور هكذا؟" (أعمال 17: 11) إن المسيحي يستطيع أن يحصل على هذه الدرجة السامية من الأخلاق عن طريق دراسته للكتاب المقدس.

"إلى الشريعة وإلى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر" (أشعيا 8: 20) وعندما تتكلم الكنيسة الرومانية عن التقاليد المناقضة لكلمة الله وشريعته فليس لها فجر.

قال يسوع "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (متى 24: 35).

"يبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد" (أشعيا 40: 8) سوف تزول التعاليم والتقاليد ولكن كلمة الله تثبت إلى الأبد.

"فتشوا في سفر الرب واقرؤوا" (أشعيا 34: 16)

"طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها، لأن الوقت قريب" (رؤيا 1: 3).

إن الله يبارك الذين يقرؤون كلمته المقدسة كل يوم. وبهذا العمل وبإرشاد الروح القدس نتعلم الحق، ونشعر بقرب وجود الله منا ورعايته لنا التي تتجدد في كل مطلع نهار.

"الإيمان المشترك" (تيطس 1: 4)

مشترك تعني عالمي، وعالمي تعني كاثوليكي. فالإيمان العالمي هو الإيمان الكاثوليكي (لا الروماني): "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما" (غل 1: 8). فالرومانية (نسبة إلى مبدأ الكنيسة الرومانية) رسالة تختلف عن الإيمان الكاثوليكي الموجود في كلمة الله.

"كاثوليكي" و "روماني" كلمتان متناقضتان في المعنى. فعندما نقول إن الشيء الفلاني "كاثوليكي" نعني أنه عالمي ومشترك بين جميع أفراد الناس على اختلاف طبقاتهم. ولكننا عندما نطلق كلمة "روماني" على شيء ما نعني أن هذا الشيء "يخص" أو "يعني" أو "يتجدد" في منطقة معينة من العالم هي مدينة روما. فالكلمتان إذاً لا تشابه بينهما، وبالتالي غير مترادفين.

ليس من الضروري، من الناحية اللاهوتية، أن كلمة كاثوليكي تعني روماني ولا روماني تعني كاثوليكي. إذ أن الكنيسة الرومانية ليست الكنيسة الكاثوليكية الوحيدة. فهناك كنائس كاثوليكية منفصلة ومختلفة عن كنيسة روما الكاثوليكية، فهناك الكنيسة الكاثوليكية الأرثوذكسية الشرقية، والكنيسة القبطية الكاثوليكية، والكنيسة الكاثوليكية الأرثوذكسية الروسية، والكنيسة اليونانية الكاثوليكية الأرثوذكسية، والكنيسة الإنجيلية الكاثوليكية، والكنيسة الكاثوليكية الأرمنية وغيرها وغيرها. فيجب ألا نخلط بين الكلمتين، لأنه يوجد كثير من الكاثوليك الذين لا علاقة لهم بروما البتة.

فمن الناحية اللاهوتية "كاثوليكي" تعني العقائد المقبولة في كل مكان في العالم بلا استثناء، أي أن لها صفة كاثوليكية عالمية. وبما أن لا شيء آخر، فالكاثوليكية هي الإيمان بالكتاب المقدس، وما نص عليه مجمع نيقية من وثيقة الإيمان (نؤمن بإله واحد ضابط الكل... إلخ). وكل عقيدة تتعارض وهذا الإيمان يجب رفضها رفضاً كلياً، إذ أنها لا تعتبر كاثوليكية. وبالطبع فإن هذا يشمل تعاليم روما "الرومانية" لا الكاثوليكية.

عقيدة "السهو" الكاثوليكية

هناك عقيدة توحي بالشك في كل ما تسنه كنيسة روما من معتقدات، هي عقيدة السهو أو عدم التعمد. وتنص على أن الكاهن عندما يقوم بتأدية القداس أو أي مراسيم أخرى عليه أن يبقي بذهنه أنه يقصد من هذا القداس أو المرسوم شيئاً معيناً. وهذا يعني أنه إذا نسي الكاهن في أي لحظة أنه يقوم بتأدية القداس، فإن هذا لا يعتبر أمام الله. وفي هذه الحالة فإن الماء والخمر لا تتكرس، إذ أن فاعلية القداس قد أبطلت، وبالتالي فإن الشعب الذي يرجو أن يحصل على الشركة المقدسة يفشل في نوال قصده، لأن الخبز والخمر لا زالا خبزاً وخمراً. كيف إذاً تعطى الشركة للكاثوليكي؟ ومتى يستطيع أن يعرف أنه يتناول خبزاً وخمراً مكرسة أم لا؟ وعندما يعترف الكاثوليكي للكاهن، على الكاهن أن يعزم على إعطائه الغفران، وإلا فإن الله لا يغفر حتى لو أن للكاهن قال للمعترف إن خطاياه غفرت. متى يعرف إذاً هذا المعترف المسكين أنه نال غفراناً أم تحذيراً. إنه لا يستطيع أن يعرف، ولا يمكن أن يعرف. وعندما يرسم المطران كاهناً فإنه إن لم يقصد من كل عقله أن يرسم هذا الكاهن فإن الرسامة لا تعتبر، وبالتالي فإن الخدمات التي يقدمها هذا الكاهن لا تعتبر. وعندما لا يقصد المطران الرسامة لشخص ما ويطلب منه أن يرسمه، فإن رسامته لا تتم إلا بعد أن يركز المطران كل أفكاره. وهكذا لا يستطيع كاهن أن يدعي أنه رسم قانونياً، ولا يستطيع مطران أو أسقف أن يثبت أنه رسم قانونياً. كما لا يستطيع أي رجل أعمال أن يتأكد أن كاهنه أو مطران أبرشيته أو خوري طائفته هو مرسوم رسامة قانونية. وهكذا يوجد الكاثوليكي في مؤسسة لا يعرف عنها شيئاً على وجه التأكيد.

اختراعات رومانية

تقول الكنيسة الرومانية أنها لا يمكن أن تتغير بل إنها ثابتة على مر الدهور هناك شيء واحد لا يتغير في هذه الكنيسة هو زيادة اختراعاتها.

وهذه بعض الاختراعات:

الصلاة لأجل الموتى .... في سنة 300 م

العبادة باللغة اللاتينية 600

رئاسة البابا "رئيس الكون" 606

عبادة الصليب والتماثيل والأيقونات 788

اختراع الماء المقدس 1000

منع زواج الكهنة 1079

اختراع حبات المسبحة 1090

بيع صكوك الغفران 1190

الاستحالة 1215

عبادة القربان 1220

اختراع المطهر 1439

إضافة كتب الأبوكريفا إلى الكتاب المقدس 1546

مساواة التقليد الروماني للكتاب المقدس 1546

عبادة مريم وتسميتها إله السماء والأرض 1854

إعلان مريم بريئة من الدنس الأصلي 1854

عصمة البابا 1870

ما هذه إلا بعض ما زادته روما على تعليم الرب يسوع النقي، ماذا بعد هذا يا ترى؟ وماذا يتبع؟

طلب للتحكيم

صديقي العزيز، إن كنت قد قرأت هذا الكتيب بإمعان وإخلاص لمعرفة الحق، لا بد أنك لاحظت عظم الاختلاف بين ما تعلمه كنيسة روما وما يعلمه الكتاب المقدس. فعندما يرى المبصر عقيدة أو عقيدتين من تعاليم روما منحرفة وبعيدة بعد المشرق من المغرب عن الكتاب المقدس، وخاصة إذا اعتبرت هذه التعاليم أساسية في الكنيسة، فحينئذ لديه من الحجة ما يكفيه ليرد على من يقاومون الانفصال عن هذه المؤسسة. أما إذا كان المطلع على هذه العقائد يعترف بها بلسانه ولا يؤمن بها بقلبه فإنه يكون مرائياً. فإن كنت عزيزي القارئ كاثوليكياً، وقادك الله من خلال هذا الكتيب إلى معرفة الحق، فنصيحتي إليك أن تتمسك بالحق الذي يعلنه الكتاب المقدس فقط.

هل تفتش عن الحق وتريد أن تخلص من خطاياك؟ هل تبحث عن الديانة الصحيحة التي كانت القديسة مريم تؤمن بها. هل تريد أن تعرف ما آمن به بولس وبطرس؟ إن ضميرك يخبرك على أنهم آمنوا بما جاء به الكتاب المقدس، لأنه هو المرجع الأعلى لقانون الله ووصاياه. فاصرخ للرب وقل له: "يا رب، ارحمني أنا عبدك الخاطئ، وخلصني لأجل الرب يسوع". وهو سيغفر لك خطاياك ويطهرك إلى التمام ويعطيك سلام القلب الذي يفوق الوصف. وتأكد أن الحياة السعيدة بانتظارك وأن الأبدية مهيأة لكل من يقبل المسيح مخلصاً شخصياً له.

تذكر أن تعيد هذه الصلاة كل يوم: "مبارك يسوع ابن الله مخلص العالم الذي أحببتنا نحن الخطاة وأسلمت نفسك لأجلنا. اغفر لنا خطايانا وخلصنا الآن وفي ساعة موتنا. آمين".